حياة

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

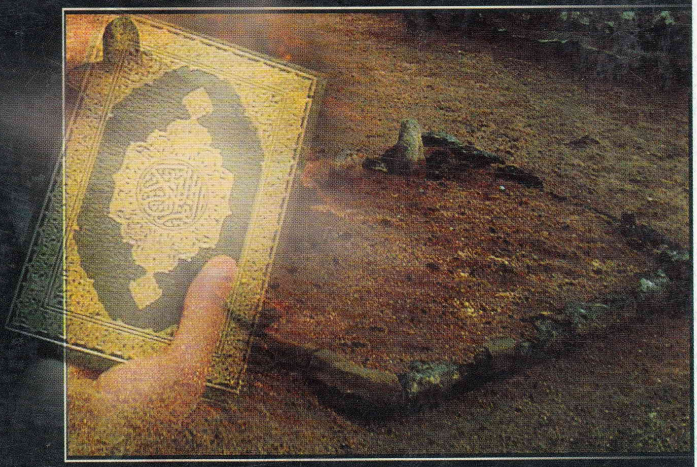

جعفر شهيدي

دار الهادي

حياة

الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام

جَمِيعُ الحُقوق محفُوظة

الطَّبعَة الثَّانِيَة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٥٥٠٤١١ - ٠١ - ١٩٣٣٩٠ - ٠٣ - فاكس ٥٤١١٩٩ - ص.ب ٢٥٠٢ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/986329 - 01/559407 - Fax: 541199- P. O. Box: 25025 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: darelhadi@darelhadi.com - URL: http: //www. darelhadi.com

حياة

الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام

تأليف

السيد جعفر شهيدي

ترجمة

عائد الزين

راجع الترجمة ونقحها

رياض الأخرس

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

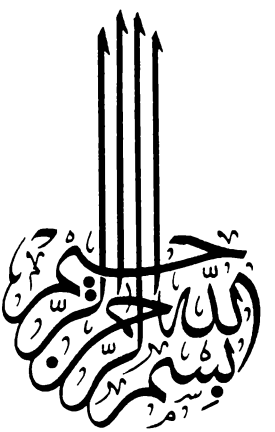
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أقام مؤسسو جامعة الإمام الصادق عليه السلام في شهر شوال عام ١٤٠٣هـ.ق، بمناسبة الذكرى السنوية لمولد الإمام الصادق عليه السلام احتفالاً بهذه المناسبة، وقد طلب مني أحد أصدقائي[١] الأعزاء وهو أستاذ في تلك الجامعة أن أكتب ملخصاً عن حياة هذا الإمام العظيم عليه السلام ليقدم كهدية للضيوف.

لم يكن بوسعي أن لا ألبي طلبه، سيما وأن إنجاز هذا العمل كان يمثل خدمةً لأهل البيت عليهم السلام، وهكذا تمت طباعة ذلك الملخص الذي كتبته في أربعين صفحة من القياس الصغير. ومنذ تلك السنة ولدي طموح عارم لتفصيل ما كتبته في ذلك الملخص أكثر، ولإغنائه بجوانب من حياة ذلك الإمام الهمام عليه السلام، ولأضيف عليه لمحة عن الواقع السياسي والاجتماعي في عصره ولأزينه بباقة من كثير أقواله الحكيمة، وبالفعل فقد قمت بجمع كل

(١) حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ يحيى عابدي دامت بركاته.

ذلك في هذا الكتاب، ليكون في متناول أيدي محبي الإمام وشيعته وأتمنى أن يكون مفيداً لهم وأن لا ينسوا الكاتب من دعائهم.

وقد كتب لي التوفيق، قبل أسبوعين، أن ألتقي بسماحة آية الله جعفر السبحاني (مد ظله العالي)، أثناء إعداد هذا الكتاب، فسألني عما أفعل في هذه الأيام فأجبته بأني أقوم بإعداد كتاب عن حياة الإمام الصادق عليه السلام وتجهيزه للطباعة فقال لي: «هل اطلعت على موسوعة الإمام الصادق» فأجبته: «لا»، وهكذا وبفضل سماحته استطعت الحصول على هذه المجموعة الغنية التي بدأ كتابتها العالم الكبير المرحوم السيد محمد كاظم القزويني مؤلف كتاب (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) ولكنه لم ينجز سوى مجلد واحد، ثم وافته المنية وأجاب دعوة الحق تعالى، فأكملها من بعده تلامذته ومحبوه، وهذه الموسوعة عبارة عن مجموعة من الروايات التي نقلت عن الإمام الصادق عليه السلام في مواضيع شتى، وبعد أن اطلعت عليها تبين لي أن كل ما أحتاجه موجود في تلك المجموعة القيمة. ولقد عملت جاهداً على الاستفادة من المراجع الأصلية في إعداد الكتاب ولكن هذا لا يعني أني لم أطلع على كتب المتأخرين والمعاصرين من الكتّاب.

أسأل الله التوفيق والعفو والمغفرة.

ربيع الثاني عام ١٤١٨ هـ.ق

١

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام هو إمام الشيعة السادس، والإمام الخامس من نسل أمير المؤمنين عليه السلام، كنيته أبو عبد الله، ولقبه المشهور هو (الصادق) وله ألقاب أخرى أيضاً منها: الصابر والطاهر والفاضل، ولكنّ الفقهاء والمحدثين المعاصرين له من غير الشيعة أطلقوا عليه لقب (الصادق) لصدقه في حديثه وأمانته في نقل الروايات، وهكذا انتشر وشاع هذا اللقب، مع العلم أن صدق الإمام المنصوب من قبل الله، والمبشر به من قبل الأئمة السابقين، ووصفه بـ(الصادق) هو كوصف الشمس المشرقة، بأنها ساطعة، قال الشاعر (ما ترجمته):

المدح والثناء بيان وكشف قناع، ولكن الشمس الساطعة لا حاجة لها بالبيان والإيضاح، ومن يمدح الشمس فهو يمدح نفسه، بأن عينيه سالمتان، ولا رمد فيهما[١].

ويصف ابن حجر العسقلاني الإمام قائلاً: الهاشمي العلوي أبو عبد الله المدني الصادق[٢].

---

(١) مثنوي، دفتر ٥، بيت ٨ ـ ٩.

(٢) تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٠٣.

وقد ذكر أيضاً أن محمد بن حيان، قال: كان الإمام من سادات أهل البيت في الفقه والعلم والفضيلة[١].

ولد الإمام عليه السلام في السابع عشر من شهر ربيع الأول في سنة ثلاث وثمانين للهجرة، وذكر بعض المؤرخين بأن ولادته كانت في سنة ثمانين للهجرة[٢]، وأن وفاته كانت في شهر شوال سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة[٣]، فعاش على ذلك خمسة وستين عاماً[٤].

وقال ابن قتيبة: جعفر بن محمد يكنى بأبي عبد الله، وينسب المذهب الجعفري إليه، توفي في المدينة في سنة ست وأربعين ومائة للهجرة[٥].

وتناوب على حكم المسلمين، منذ ولادة الإمام وحتى وفاته، اثنا عشر خليفة، عشرة منهم من بني أمية، وهم: عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك، الوليد بن يزيد، يزيد بن الوليد، ابراهيم بن الوليد، مروان بن محمد، واثنان من بني العباس، هما: أبو العباس السفاح، وأبو جعفر المنصور.

وقد تزامنت بداية إمامته مع تسلم هشام بن عبد الملك للسلطة، وانتهت فترة إمامته بوفاته عليه السلام في السنة الثانية عشرة من خلافة أبي جعفر المنصور.

ويقع قبر الإمام الصادق عليه السلام في البقيع، في نفس المكان الذي دفن فيه أبوه وجده.

---

(١) نفس الكتاب، ص١٠٤.
(٢) كشف الغمة، ج٢، ص١٥٥.
(٣) نفس الكتاب، ص١٦٦.
(٤) الإرشاد، ج٢، ص١٧٤.
(٥) المعارف، ص٢١٥.

أمه هي فاطمة، أو قريبة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وكنيتها أم فروة، وهي بنت أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في أمه: كانت أمي ممن آمنت واتقت وأحسنت والله يحب المحسنين[1].

وذكر الكليني في إسناده نقلاً عن عبد الأعلى قال: رأيت أم فروة تطوف بالكعبة، عليها كساء متنكرة، فاستلمت الحجر بيدها اليسرى، فقال لها رجل ممن يطوف: يا أمة الله أخطأتِ السنّة، فقالت (أم فروة): إنا لأغنياء عن علمك[2]. هذا الجواب يبين لنا معرفتها بالمسائل الفقهية.

والمشهور أن للإمام عشرة أبناء، سبعة منهم ذكور وأسماؤهم هي: اسماعيل، عبد الله، موسى عليه السلام، اسحق، محمد، عباس، وعلي؛ وثلاث إناث وأسماؤهن هي: أم فروة، أسماء، وفاطمة.

كان اسماعيل الابن الأكبر للإمام وكان عليه السلام يحبه كثيراً، وكان بعض الشيعة يعتقد بأن اسماعيل سيصبح إماماً بعد والده، ولكن اسماعيل توفي في حياة والده، فدفنه الإمام عليه السلام في البقيع، وبكى عليه أشد البكاء، ويقال أن الإمام كشف عن وجهه قبل أن يدفنه ليرى الناس أن اسماعيل قد مات، ولكن بعضهم لم يصدق بموته، بل واعتبروه إماماً بعد والده، وهم الاسماعيليون الذين ينسبون أنفسهم إلى اسماعيل، ويعتقدون بوجود سبعة أئمة فقط، والذين انقسموا فيما بعد إلى فرقتين: هما النزارية والمستعلوية، ويعيش الاسماعيليون اليوم في دول عديدة: منها إيران والباكستان والهند.

ويروى أن الإمام الصادق عليه السلام عاش إحدى وثلاثين سنة إلى جانب أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وفي رواية أخرى أربع وثلاثين سنة. وكان

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٧٢.

(٢) فروع الكافي، ج٤، ص٤٢٨ كتاب الحج.

الإمام الصادق عليه السلام برفقة والده أثناء سفره إلى الشام بأمر من هشام بن عبد الملك. ويروى عنه:

عندما وصلنا إلى الشام حجبنا هشام ثلاثاً، ثم أذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا، وإذا قد قعد على سرير الملك، وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم، وقد وقفوا في صفين وأشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا، قال هشام (لأبي) ارم مع أشياخ قومك الغرض، فقال له: إني قد كبرت عن الرمي، فهل رأيت أن تعفيني؟، فقال: لا أعفيك، فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ (أحد الحاضرين) ووضع فيه سهماً، ورمى وسط القوس، فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشق فواق سهمه إلى نصله، ثم تابع الرمي حتى شقّ تسعة أسهم، بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، وأطرق لمدة وأنا وأبي واقف حذاه مواجهين له، فلما طال وقوفنا غضب أبي فهمّ به، فلما نظر هشام إلى ذلك من أبي، قال له: إليَّ يا محمد، فصعد أبي وأنا أتبعه، فلما دنا من هشام، قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه، ثم اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي[1].

وفضلاً عن المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها الإمام بين الشيعة، فإنه نال حب عامة المسلمين، وبات له في قلوبهم منزلة خاصة، فأهل السنة والجماعة، من عصره وحتى عصرنا هذا، يشهدون له بحسن الخلق، ووفرة العلم، وكثرة التعبد.

ويروي الشيخ الصدوق في إسناده عن فقيه المدينة مالك بن أنس: كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فيقدم لي مخدة (وسادة)، ويعرف لي قدراً، ويقول: يا مالك إني أحبك، فكنت أُسرُّ بذلك، وأحمد الله تعالى عليه؛ قال: وكان عليه السلام لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً وإما قائماً وإما ذاكراً لله، وكان من عظماء العباد وأكابر الزهاد الذين يخشون

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٠٦ ـ ٣٠٨. عن أمان الأخطار وابن طاووس ونقلها عن دلائل الإمامة للطبري والقصة مفصلة وذكرت هنا باختصار.

الله عز وجل، وكان كثير الحديث، طيب المجالسة، كثير الفوائد، ويقول مالك: ولقد حججت معه في سنة، فلما استوت به راحلته، عند الإحرام كان كلما همَّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخر عن راحلته، فقلت: قل يا ابن رسول الله ولا بد لك من أن تقول، فقال: يا ابن أبي عامر، كيف أجسر أن قول «لبيك اللهم لبيك» أخشى أن يقول تعالى لي: لا لبيك ولا سعديك[1].

ونقل علي بن عيسى الأربلي مؤلف كتاب «كشف الغمة» عن محمد بن طلحة أنه قال: . . . واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والاقتداء به يورث الإنسان الجنة، ونور قسماته شاهد أنه من سلالة النبوة، وطهارة أفعاله تصدع بأنه من ذرية الرسالة.

وقد تربى على يديه علماء كثيرون منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وأبو حنيفة، وشعبة، وأيوب السجستاني، فنالوا من خلال ذلك الشرف، وكسبوا الفضيلة.

وكان عليه السلام من عظماء أهل البيت وساداتهم عليهم السلام، ذو علوم جمة وعبادة موفورة، وأوراد متواصلة، وزهادته بينة، وتلاوته كثيرة، يتتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحر جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات، بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكر الإنسان بالآخرة.

ويروي ابن شهرآشوب عن مالك بن أنس: لم أر أفضل وأعلم وأتقى من جعفر بن محمد عليه السلام، فكان إما صائماً وإما مقيماً للصلاة وإما ذاكراً لله ومسبحاً له، وكان من أتقى وأفضل الزهاد، ومن الذين يخافون الله بحق، وكان كثير الحديث، وحسن المحضر، وكثير الفائدة، وعندما كان يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله» كان لون وجهه يتغير[2]!

---

(١) الخصال، ص١٨٤؛ علل الشرائع، ص٢٣٥؛ المناقب، ج٤، ص٢٧٥.
(٢) المناقب، ج٤، ص٢٧٥.

وقال الحافظ أبو نعيم عن الإمام عليه السلام: ومنهم الإمام الناطق أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أقبل على العبادة والخضوع وآثر العزلة والخشوع ولها عن الرئاسة والجموع[1].

وذكر الشهرستاني في الملل والنحل: كان جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ذا علم وافر، وأدب كامل وزهد وتقوى لا مثيل لها، لم يحارب أحداً من أجل الخلافة، فذلك الذي يسبح في بحار المعرفة لن يغرق في الشط أبداً، ومن يصل لأوج الحقيقة لن يخاف من النزول[2].

وذكر ابن خلكان: كان الإمام عليه السلام من سادة أهل البيت، ولقب بـ«الصادق» لصدقه في الحديث، وإن فضل الإمام لأكثر، وأكبر مما ذكره المحدثون[3].

وقال عنه العطار العارف المشهور في القرن السابع عليه السلام: إنه السلطان المصطفوي، وبرهان الحجة النبوية، والصديق وعالم التحقيق، وثمرة قلب الأولياء، وكبد الأنبياء، والناقد العلي، ووارث النبي صلى الله عليه وآله، وعارف العشق، جعفر الصادق رضي الله عنه، ولو أردنا أن نتحدث عن الأنبياء والصحابة وأهل البيت لكان علينا أن نخصهم بكتاب مفصل، وهذا الكتاب هو شرح لحياة الأولياء من بعدهم، وقد بدأنا بالإمام الصادق تبركاً لأن أغلب أحاديث أهل البيت ورواياتهم، صدرت عن الإمام الصادق عليه السلام، وسأذكر هنا بعض أقوال الإمام، وعندما يذكر إمام فكأنما ذكر الأئمة جميعاً، فلا تظن أن الناس على مذهبه هو وحده، بل هم على مذهب الأئمة الاثني عشر، فالواحد منهم يمثل الاثني عشر، والاثنا عشر هم الواحد نفسه. ولو أردت وصفه بالكلام

---

(١) حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٢.
(٢) الملل والنحل، ج١، ص٢٧٢.
(٣) وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩١.

فقط تقصر العبارة عن أداء حقه ووصفه حيث كان في جميع العلوم والعبادات في الكمال. ولقد كان قدوة كل المشايخ ومحل ثقتهم، وكان الإمام المطلق، وشيخ جميع المتألهين، وإمام كل المحمديين، وكان إماماً لأهل الذوق، وأهل العشق، يقدم العباد، ويكرم الزهاد، وكان ماهراً في تصنيف أسرار الحقائق، ودقيقاً في تفسير لطائف أسرار التنزيل ولا نظير له في التفسير[١].

وقال عمر بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين[٢].

وقد كان أبو جعفر المنصور يعتقد بأنه من الذين ألهمهم الله عز وجل[٣].

وكذلك ذكر الخاقاني الشرواني في منشآته: أن جعفر الصادق كان العلم المطلق[٤].

وذكرت هذه الشهادات وهي غيض من فيض، لأجل أن يعلم أولئك الذين ليس لديهم اطلاع ومعرفة كافية عن حياة الأئمة، أو الذين لم يقرؤوا ولم يطلعوا على حياة أئمة الشيعة، إلاّ من خلال الشيعة، ومن لم يتتبع هذه الأمور في مصادر غير الشيعة، أن الإمام لم يكن عظيماً في نظر الشيعة وحسب، بل إن كل من لديه علم وبصيرة كان يحترم هذا الإمام ويتواضع أمامه ويعظم حقه. وقديماً قال زيد (عم الإمام الصادق عليه السلام) في ابن أخيه: في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر، لا يضل من تبعه، ولا يهتدي من خالفه[٥].

---

(١) تذكرة الأولياء، ج١، ص٩ ـ ١٥.
(٢) حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٣؛ تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٠٤.
(٣) أصول الكافي، ج١، ص٤٧٥.
(٤) المنشآت، ص١٧٥.
(٥) المناقب، ج٤، ص٢٧٧.

٢

وكما ذكرنا سابقاً فقد تناوب ومن السنة الثالثة والثمانين للهجرة ـ سنة ولادة الإمام الصادق عليه السلام ـ وحتى سنة ثمان وأربعين ومائة ـ سنة وفاة الإمام عليه السلام ـ تناوب على الخلافة الإسلامية اثنا عشر خليفة من بني أمية وبني العباس، وكانت مدة حكم كل منهم قصيرة الأمد عدا عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، فقد حكم كل منهما عشرين سنة. ومن الطبيعي أن يؤدي تغيير الحكام (وخاصة المستبدين) منهم إلى اضطراب الوضع السياسي والاجتماعي، وخاصة في العقدين الأخيرين من حياة الإمام حيث انتقلت السلطة من أسرة إلى أخرى، ورافق ذلك اضطرابات ومجازر.

فما هو سبب هذه التبدلات والتغيرات؟ ولِمَ ارتكبت المجازر؟ وماذا كانت تبعات هذه التغيرات وانعكاساتها على المجتمع الإسلامي سيما مجتمع المدينة التي نشأ فيها الإمام عليه السلام؟

لم يلتفت المؤرخون ـ للأسف ـ إلى هذه الحقبة الزمنية والتاريخية بالدراسة الدقيقة، مع العلم أن هذه الأحداث جزء من التاريخ، ومن جهة أخرى، فإن هذه الأحداث هي جزء من تاريخ حياة الشخصية التي يتناولها الكاتب بالبحث، لذا يجب الالتفات إلى الأسباب والدوافع التي أدت إلى ذلك؛ ولذلك بذلت جهدي، قدر المستطاع، في هذا الفصل وبما يتناسب مع هذا الكتاب المختصر لتبيين أسباب تلك الحوادث.

كان عبد الملك بن مروان أقوى حكام الأسرة المروانية، وفي عهده تمكنت جيوش الإسلام من فتح مناطق وأراضٍ جديدة واستطاع ولاته وأتباعه بغاية القسوة والشدة إخماد ثورات المخالفين وإسكاتهم وتجميد حركتهم، وهكذا دامت مدة حكم عبد الملك بن مروان عشرين عاماً، واستقر الوضع الداخلي في هذه المدة.

ولكن بعد عبد الملك بن مروان بدأ الاضطراب والاضمحلال يدب في جسم الدولة الأموية شيئاً فشيئاً، إلى أن زالت وحل محلهم العباسيون كما نعلم، وسبب هذا التغير الكبير، وما تبعه من اضطرابات، هو غضب وتذمر المسلمين المحكومين من قبل هذه السلالة (أي الأموية) وبدأ هذا التذمر والغضب عند غير العرب، ومن ثم سرى إلى العرب. في البداية سأشير إلى سبب هذا التذمر عند غير العرب، ومن ثم أذكر باختصار سببه عند العرب أيضاً، مع أنني تعرضت لذلك في كتب متعددة، خصوصاً في كتابي «بعد خمسين سنة» و«التاريخ التحليلي للإسلام»[1].

عندما انطلق الإسلام وامتدّ من شبه الجزيرة العربية إلى المناطق المجاورة، ومن جملتها المناطق الشرقية، دخل الكثير من الناس في الإسلام عن رغبة، وليس بسبب الخوف من القتل أو دفع الجزية، (كما يتصور المغرضون أو الجاهلون بالتاريخ)؛ وما شجعهم وحرضهم على دخول الإسلام هو تلك الأهداف النبيلة التي كان ينادي بها المبلغون في ذلك الوقت، أو الآيات القرآنية الكريمة التي كانت تُقرأ على الناس، أو تلك الدروس والاجتماعات التي كانت تُقام لبيان أحاديث الرسول ﷺ وشرح سيرته، مما أدى يوماً فيوم إلى ازدياد تعلق الناس بالإسلام، وتنامي حبهم له، وبالتالي إلى انتشاره بينهم بسرعة فائقة. وكانت تلك الدعوات تنادي بالتقوى

(١) هذان الكتابان باللغة الفارسية، وهما قيد الترجمة، وسيصار إلى طبعهما قريباً بمشيئة الله، وللفائدة فإن اسم الأول بالفارسية هو «بس بنجاه سال» واسم الثاني هو «تاريخ تحليلي إسلام». م.

في الدرجة الأولى، ومن ثم الأخوة والمساواة، (وهو عين ما كان أهل ذلك الزمان ينشدونه، لما يعانونه من الظلم وعدم المساواة).

ولكن لم يمض أقل من نصف قرن على وفاة الرسول ﷺ حتى أدرك هؤلاء القوم، شيئاً فشيئاً، بأن هدفهم المنشود والذي دخلوا الإسلام لأجله، والذي من أجله كانوا قد تخلوا عن نصرة حكامهم (السابقين قبل الإسلام)، لا يطبق من قبل هؤلاء المتصدين بزعمهم للخلافة الإسلامية، فالخلافة انتقلت إلى أسرة قاتلت الرسول ﷺ بكل استطاعتها ولكنها عندما وجدت أن لا مفر لها من قبول هذا الدين، دخل أفرادها في الإسلام بألسنتهم، ولكن كل أو أكثر أعمالهم وأقوالهم تخالف الإسلام.

فمن يطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين ويستولي على مقاليد الخلافة النبوية، ظالم ومستبد وعنصري يكنز الأموال ويتعطش للسلطة، ولا يعبأ سوى بنفسه وأتباعه المحيطين به؛ وقد اتخذ من حكام الروم والفرس قدوة ومثلاً له في إدارة شؤون الدولة؟ وإذا كانت الخلافة بهذا الشكل فماذا يتوقع من ولاتها في الأمصار! ولو ألقينا نظرة إلى الولاة والحكام المنتشرين في شتى مناطق الدولة فسنعي جيداً ما كانوا يفعلونه هناك.

ماذا يمكننا أن نتوقع وننتظر من أناس مثل زياد الذي لا يعرف من هو والده؟ أو من عبيد ابنه؟ أو من الحجاج بن يوسف؟ أو من خالد بن عبد الله؟ أو من عمرو بن هبيرة؟ أو من يوسف بن عمر ونصر بن سيّار؟ وهكذا وصلت هذه المجموعة من البدو وأعراب البادية إلى قيادة هذه الدولة الجديدة العهد، وهم لا حظ لهم لا من العلم ولا من التقوى، ولا تعرف معنى الأخوة ولا المساواة مع الناس، ومتعطشة للسلطة، وهي بعيدة عن الناس والإنسانية، ومثل هؤلاء، كانوا يحكمون الناس، فكانوا يحقرون التابعين لهم، ويفتخرون ويتباهون بأنفسهم على غيرهم وذهبت وقاحتهم لدرجة أنهم لم يسمحوا لعامة الناس بالصلاة معهم، ومن الطبيعي أن لا يرضى الناس بذلك، ولكنهم وبسبب تفرقهم، لم يروا في أنفسهم القدرة على

النهوض والمقاومة، بل كانوا في انتظار من ينادي باسم الدين، ويدفع عن الإسلام، وأهل البيت، فيلتفون حوله وينصرونه، وهكذا كان وضع المجتمع والناس في إيران في تلك السنوات.

وفي الحقيقة لم يكن الإيرانيون لوحدهم هم المستاؤون من حكم هؤلاء المتصدين للخلافة، بل إن من العرب أيضاً من لم يكن راضياً عنهم، من العراقيين والشاميين، وقد أتيت بالأدلة وما ينبغي في كتابي «علي بلسان علي»[1] و«بعد خمسين سنة» ولا أعيدها هنا، وينبغي القول أن من الواجب دراسة الثورات التي قامت في العراق بين عامي ست وثلاثين، وأربعة وستين (٣٦ ـ ٦٤)، وكذلك تلك التي جرت بين عامي ثمانين، ومائة وثلاثين (٨٠ ـ ١٣٠) جيداً.

فقد كان قيام هذه الحركات والثورات في الظاهر من أجل إعادة وإحياء سنة رسول الله ﷺ، أو الانتقام من أعداء أهل البيت عليهم السلام، وقد شارك فيها أيضاً مجموعة من الناس الذين يطمحون إلى تطبيق الدين الإسلامي المحمدي الأصيل على ما كان عليه في الفترة النبوية، ونشر العدالة في المجتمع الإسلامي، والشيء الذي يلاحظ في هذه الحركات هو الحساسية الموجودة بين أهل العراق والشام، والتي لها جذور بعيدة في التاريخ.

وقد ظهر في أيام المروانيين انقسام مجموعتين من العرب، تحزبتا وانقسمتا على نفسيهما، واشتبكتا وكان لهما الدور الأكبر، والنصيب الأوفر من الاضطرابات والثورات، وهم عرب الشمال، وعرب الجنوب الذين كانوا في حالة نزاع مستمر ومزمن، واستمر بينهم لسنين عديدة في عهد العباسيين أيضاً.

قبل ظهور الإسلام بمئات السنين كانت كل واحدة من هاتين الجماعتين تعتقد أنها من العرب، وتعتبر الأخرى تابعة للعرب، ولكن ومع بزوغ فجر

---

(١) أصل الكتاب بالفارسية «علي از زبان علي». وهو إن شاء الله في طريقه إلى الطباعة. م.

الإسلام، وببركة هذا الدين وبفضل نصائح النبي ﷺ وتوجيهاته وإرشاداته، تحسنت علاقتهما مع بعضهما البعض شيئاً فشيئاً، وأصبح العرب ومن ضمنهم هاتان المجموعتان، في ذلك الوقت، إخوة في الإسلام، ولكن لم يمض ثلاثون عاماً على هذه المؤاخاة حتى عاد الطرفان إلى سابق عهدهما، وانقلبا من جديد عدوين لدودين، وهكذا انبعثت الجاهلية وعاداتها من جديد، وراح المضري واليماني يتقاتلان ويتصارعان بأسماء أخرى، مثل: القيسي والكلبي، وكانت الغلبة للمضريين في أيام معاوية، ويزيد، ولكن بعد موتهما سنحت الفرصة لليمانيين بالسيطرة، والحصول على النفوذ والقدرة.

التقى مروان بن الحكم، الحاكم الأول من الفرع السفياني الآخر (أي المرواني) عام ٦٤هـ في مرج راهط شرقي غوطة دمشق مع الضحاك بن قيس، وقد كان للضحاك قدرة ونفوذ في زمن معاوية ويزيد في الشام، فهو من القيسيين، أي عرب الشمال؛ والتف الكلبيون، ومجموعة من الأمويين حول مروان بن الحكم وبايعوه بالحكم في قرية الجابية قرب دمشق. فلم يسر الضحاك وهو من قيس أبداً أن يكون الكلبيون هم السباقون في إيصال مروان إلى الحكم فانحاز إلى جانب ابن الزبير، وقاتل معه ضد مروان، حيث نشبت بين الطرفين حرب طاحنة، وانتصر فيها أتباع مروان، وبذلك بدأت المنافسة الحقيقية بين القيسيين والكلبيين.

ونظم شعراء الفريقين حول هذه المعركة القصائد والأشعار التي تذكر بأيام العرب وحروبها في الجاهلية، وأعتقد أن المثل المعروف «أذل من قيسي في حمص» هو من ذكريات وآثار هذه الفترة. ومنذ نشوب هذه الحرب، بدأ التمييز والتفريق القبلي إلى مضري أو يماني، وقيسي أو كلبي، وقام الخلفاء المروانيون بدعم هذه القبيلة أو تلك حسب مصالحهم، وكان من الطبيعي أن وصول إحداهما إلى مركز القوة والتمتع بثقة الخليفة، وفشل الأخرى (في كسب رضاه، وبالتالي عزلتها الاجتماعية والسياسية)، يؤدي إلى شروع المؤامرات، وظهور الخلافات واندلاع الفتن.

واستمر تقدم الفتوحات الإسلامية في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) في شرق إيران، وقد توجه من خلالها عدد كبير من القحطانيين إلى تلك المناطق، فهل كان هدفهم نشر الدين الإسلامي؟، أم الحصول والاستيلاء على الغنائم الحربية؟ العلم عند الله، ولكن من المسلّم أن البعض منهم كان هدفه نشر الإسلام وإعلاء كلمته، والبعض الآخر كان وراء الدنيا ومكاسبها، وهذا ليس جديداً، بل ظهر في الماضي، حتى في زمن الرسول ﷺ، وما نقل عن الرسول ﷺ من روايات يبين هاتين الحالتين بدقة: «(. . .) فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

كان الخلفاء يرسلون القحطانيين إلى الولايات والمناطق البعيدة (الشرق الإسلامي) حتى يأمنوا شر نزاعاتهم مع المضريين، ولكنهم لم ينسوا أبداً حقد القيسيين عليهم، وكرههم لهم، كما أن القيسيين أيضاً لم يتحملوا أيضاً اقتراب أولئك من السلطة.

عيّن الحجاج في سنة ٨٠ للهجرة عبد الرحمن بن محمد الأشعث، وهو من جنوب شبه الجزيرة العربية، والياً على سيستان (سجستان)، وإذا علمنا أن الحجاج هو من ثقيف، أي من العرب الشماليين أما عبد الرحمن فهو من قبيلة كندة في جنوب شبه الجزيرة العربية، نعرف لماذا لم يكن الحجاج راضياً عن عبد الرحمن، وأراد أن يرسله إلى مكان بعيد حتى لا يسبب له مضايقات أو مشاكل، وشنّ في نفس السنة رتبيل حاكم كابول حرباً على إقليم سيستان فانطلق عبد الرحمن إلى هناك، وألحق الهزيمة بجيش رتبيل ومن ثم بعث برسالة إلى الحجاج كتب فيها ما مضمونه: لقد فتح الله علينا بلاد الأعداء وطردناهم من البلاد وظفرنا في هذه الحرب بغنائم كثيرة،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، ج١، ص٢٢. (رقم الحديث ٥٢).

ولا أرى أنه في صالحنا متابعة الزحف والتقدم؛ فرفض الحجاج طلبه هذا، وكتب له كتاباً «فامض لما أمرتك من الوغول في أرضهم» فجمع ابن الأشعث قادة جيشه، ومعظمهم من القحطانيين، وقال: أرى أن الصواب أن لا نستمر في القتال، ولكن الحجاج يريد غير ذلك فماذا تقولون أنتم؟ قالوا: إن الحجاج، والله لا يبالي، أن يخاطر بنا، فيقحمنا بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب، فإن ظفرنا فغنمنا أكل المال وحاز البلاد، وكان ذلك زيادة في ملكه، وإن ظفر عدونا كنا نحن الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عَنَتَهم ولا يُبقي عليهم، فامتنع الأشعث عن تنفيذ أوامر الحجاج، وخلعه؛ وبايعه مَن كان معه، وانطلق بجيشه صَوب العراق لقتاله.

وتَعَرّض جيش الحجاج في البداية إلى هزيمة وهزة قاسية، فطلب النجدة من عبد الملك، ودارت معركة طاحنة قرب الكوفة في مكان يسمى دير الجماجم على بعد سبعة فراسخ من الكوفة، وانضم الناس خلالها إلى جانب عبد الرحمن لسخطهم على الحجاج، ولكن سرعان ما انهزم جيش عبد الرحمن وهرب عبد الرحمن نفسه إلى سيستان[1].

ولم يكن عامة الناس المحليين يتدخلون في هذه الاضطرابات والنزاعات بصفتها القبلية فتبقى في حدود نزاع القبيلتين، أو أن السكان المحليين لم يروا مصلحة في الدخول فيها، ومع ذلك لو رفع أحدٌ لواء الدين ونادى بنصرة آل محمد ﷺ لنهضوا والتفوا حوله، كما فعل المختار بن أبي عبيدة الثقفي سنة ٦٦ للهجرة، عندما رفع لواء الانتقام والثأر لدماء سيد الشهداء عليه السلام فالتف حوله الموالي. ذكر ابن قتيبة: عندما قدم عمير بن الحباب إلى ابراهيم بن مالك الأشتر (قائد جيش المختار) ليخبره بمجيء جيش الشام، سأله ابراهيم عن قدومه؟ فقال: غمرني الحزن والأسى من اللحظة التي وصلت فيها إلى معسكرك، لأني وحتى وصولي إليك لم أسمع

(١) الكامل، ج٤، ص٤٨٥ ـ ٤٦١.

أية كلمة عربية، فهل تريد أن تقاتل فرسان الشام الشجعان الأربعين ألفاً بهؤلاء الأعاجم[1].

وكما نعلم فإن ثورة المختار باءت بالفشل، وأحد الأسباب، أو السبب الرئيسي في فشلها هذا، هو أن العرب يتناحرون فيما بينهم ولكنهم عندما يواجهون الأجنبي الغريب، فإنهم يتحدون مع بعضهم، ويقضون عليه، فلم يتحمل زعماء القبائل حكم الموالي، فتركوا المختار، والتفوا حول ابن الزبير.

قُتل المختار، لكن بقي منه ذكرى استفاد منها بعض الثوار بعده، وهي الاستفادة من الأخبار والروايات الواردة حول الإمام المهدي عليه السلام وتسخيرها لتحقيق أهدافها السياسية، ولم يخل عصر الإمام الصادق عليه السلام أيضاً من أمثال هؤلاء المدعين للمهدوية.

(١) الأخبار الطوال، ص١٨.

٣

وردت روايات كثيرة عن الرسول الأكرم ﷺ، مضمونها أنه سيظهر في آخر الزمان رجل من ذريته اسمه المهدي، وسيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

ويعتقد جميع المسلمين ويؤمنون بظهور المهدي في آخر الزمان؛ ولكن الشيعة الاثني عشرية، وبالاستناد إلى هذه الروايات، والروايات الأخرى المنقولة عن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، والتي تُرى أيضاً في بعض كتب أهل السنة والجماعة، يعتقدون بأن المهدي المبَشّر بظهوره في آخر الزمان، هو الإمام الثاني عشر، وهو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقد ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة. وتمكن بعض الخواص والمقربين من والده من رؤيته، طوال مدة (٥) سنوات، أي عندما كان والده حياً، وعندما توفي الإمام العسكري عليه السلام في سنة ٢٦٠ للهجرة، انتقلت الإمامة إليه وتتابع أربعة أشخاص على القيام بدور الوسيط بينه وبين شيعته، وتسمى فترة الغياب هذه بـ«الغيبة الصغرى»، وفي عام ٣٢٩ للهجرة ومع وفاة آخر وسيط، ونائب له، وهو علي بن محمد السمري زالت الصلة (المباشرة) بين الإمام والناس، وبذلك بدأت «الغيبة الكبرى».

ويتضح لنا من خلال دراسة تاريخ الإسلام أن العديد من الأشخاص قد استفادوا من الروايات الواردة بحق الإمام المهدي وسخروها لمصالحهم، واتخذوا من المهدوية وسيلة لتحقيق أهدافهم السياسية، وأطلقوا على أنفسهم

لقب «المهدي» واستفاد المتذمرون من الوضع السياسي والاجتماعي من هذه الفرصة، والتفوا حول مدعي المهدوية.

وكان أول من ادعى المهدوية في الإسلام هو المختار بن أبي عبيدة الثقفي. حيث كانت حادثة كربلاء قد تركت في نفوس المسلمين أثراً سيئاً، لدرجة أن آل أبي سفيان وأتباعهم لم يستطيعوا تبرير وتسويغ ما حصل وتقديم الأجوبة لاستفسارات الناس وتساؤلاتهم، ولما كان المختار عالماً ومطلعاً على تذمر الموالي وعامة المسلمين، وعدم رضاهم، رفع راية المطالبة بدماء شهداء كربلاء، وليرسخ دعائم حكومته أطلق على محمد بن أمير المؤمنين علي عليه السلام المشهور بابن الحنفية نسبة لأمه «الإمام» و«المهدي».

وقد قال سعد بن عبد الله الأشعري، وهو من كبار علماء القرن الثالث الهجري: ادعى البعض بأن محمد بن الحنفية هو المهدي وهو وصي علي عليه السلام، فلا يحق لأحد مخالفته، أو رفض إمامته، أو إشهار السيف من دون إذنه[1]...

فهل أجاز محمد للمختار أن يقوم بذلك أم لا؟ هذا الأمر محل بحث ونقاش. ويروي ابن قتيبة عن الشعبي: ذهب المختار بصحبة عدة أشخاص إلى بيت إبراهيم بن مالك الأشتر، ومعه رسالة مختومة، وقال له: لقد كتب محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) هذه الرسالة إليك في حضور هذا الجمع، وكان مضمون الرسالة ما يلي:

من محمد بن علي إلى ابراهيم بن الأشتر إن المختار بن أبي عبيدة سيطالب بدم الحسين عليه السلام، فانصره، وقدم له العون، وبذلك تكسب أجر الدنيا والآخرة. وعندما قرأ ابراهيم الرسالة قال: أنا حسب أمر محمد بن علي...

---

(١) المقالات والفرق، ص٢٦.

يقول الشعبي: لقد انتابني الشك من شهادة هؤلاء الأشخاص، هل رأوا محمداً عند كتابة الرسالة إلى ابراهيم؟ فذهبت إلى بيوتهم واحداً واحداً، وسألتهم: هل رأيتم محمد بن الحنفية أثناء كتابة هذه الرسالة، فقالوا: أجل، فقلت في نفسي: لمعرفة الحقيقة لا بدّ لي من الذهاب إلى عمرة العجمي، فذهبت إليه، وسألته قائلاً: أخشى أن يصل الأمر في النهاية إلى وقوف الناس ضدنا، فهل تشهد بأن محمد بن الحنفية قد كتب هذه الرسالة، فقال: والله إني لم أكن موجوداً عند كتابتها، ولكن أبا اسحاق (المختار) ثقةٌ عندنا، وجاءنا بعلاماتٍ تشير إلى أنها من ابن الحنفية[1].

فنستطيع أن نستشف من خلال الحديث الذي دار بين الشعبي وعمرة، ومن خوفه من اتّباع المختار، مدى عمق آثار النزاع بين الموالي والعرب، ونفهم أيضاً مدى خشية العرب وخوفهم من قيام الموالي وثورتهم.

أما بالنسبة إلى كلمة كيسان، فهناك آراء متعددة، يقول بعضها بأنها لقب المختار، وجاءت من الكَيّس بمعنى الذكي، ولكن على الظاهر فإن هذا المعنى لا أساس له من الصحة، فقد ذكر النوبختي: كان كَيْسَان رئيس شرطة المختار، ويُكنى بـ«أبي عمرة»[2]. وذكر الأشعري: أن الذين كانوا يعتقدون بأن ابن الحنفية هو الإمام المهدي قالوا: إن محمداً قد نصب المختار بن أبي عبيدة الثقفي والياً على عراق العرب، وعراق العجم، وطلب منه أن يثأر لدم الحسين عليه السلام، ولقّبه بـ«كَيْسان» لأنه كان ذكياً وفَطِناً، وفي الحقيقة فإنّ المختارية الخالصة تتلخص بهؤلاء الناس[3].

توفي محمد سنة (٨١) للهجرة، في الطائف، ولكن الذين يعتقدون بأنه المهدي ادعوا بأنه لم يمت، وهو يعيش في جبل «رضوى»، وكان السيد

---

(١) الأخبار الطوال، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤.
(٢) ترجمة فرق الشيعة، ص١٣.
(٣) المقالات والفرق، ص٢٦.

الحميري، الذي كان يقول في البداية بأن محمداً هو المهدي، ثم تراجع عن رأيه، وأعلن إيمانه واعتقاده بإمامة الإمام الصادق عليه السلام، وبأحقية مذهب جعفر عليه السلام، واعتنقه، قد أنشد هذه الأبيات في محمد بن الحنفية[1]:

سمي نبينا لم يبق منهم ... سواه فعنده حصل الرجاء
تغيّب غيبة من غير موت ... ولا قتل وسار به القضاء
وبين الوحش يرعى في ريا ... ض من الآفاق مرتعها خلاء
فحل ما بها بشر سواه ... بعقوته له عسل وماء

وهكذا أصبحت المهدوية شعاراً، ووسيلة يستفيد منها الطالبون للسلطة، والمعارضون، ويدعون الناس من خلالها إلى الالتفاف حولهم، فيتجمع الساخطون على الحكم، والباحثون عن مخرج مما هم فيه حولهم، وعندما توفي محمد أو «اختفى» كما تعتقد الكيسانية، التف أتباعه حول ابنه أبي هشام، وأطلقوا عليه لقب الإمام.

ومن جهة أخرى فإن أولاد العباس عم الرسول صلى الله عليه وآله، كانوا يفكرون بالحكم أيضاً، ولكنهم في البداية لم يدعوا الناس صراحة إلى ذلك، بل قالوا: بأن الخلافة هي من حق آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى الناس أن يبايعوا شخصاً منهم، يرضى به المسلمين، ولذلك كانوا يدعون الناس إلى «الرضا من آل محمد».

ومن أجل تثبيت مهدوية ابن الحنفية، وإبعادها عن أسرته، أشاعوا سنة ٩٨ للهجرة، أن أبا هشام بن محمد بن الحنفية قد التقى بمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وبايعه بالخلافة وأوكلها إليه في الحُمَيْمَة[2] أثناء سفره إلى الشام، وبذلك يكوّن العباسيون أهلاً للخلافة والحكم من جهتين، الأولى: أنهم أولاد عم الرسول صلى الله عليه وآله، والثانية: أن محمد قد تنازل عن حقه لهم.

---

(١) الديوان، ص٤٩.

(٢) بلدة من توابع عمّان كان يقيم فيها العباسيون.

وكما نرى لم يكد يمضي قرن واحد على الهجرة إلا وصارت المهدوية شعاراً للثائرين على الحكومات، وقد ظهر اثنان في حياة الإمام الصادق عليه السلام وهما: زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، ومحمد بن عبد الله الملقب بـ«النفس الزكية».

ولكن زيداً كان رجلاً جليلاً في نظر الإمام الصادق عليه السلام، وكما تشير الأدلة والروايات فإنه هو لم يدع المهدوية أبداً، بل كانت ثورته من أجل تأديب الحكام الظلمة، وقد قال في هذا الخصوص أحد شعراء بني أمية، ويدعى الحكيم بن العياش الأعور:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يُصلب
وقِستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خيرٌ من علي وأطيب[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أن أتباع زيد كانوا يعتقدون بأنه المهدي، وعلينا أن نعرف أن المهدي في عرفهم واصطلاحهم هو «الشخص الذي يثور في وجه الظَلَمَة لدحض الظلم والجور وإقرار العدالة».

(١) معجم الأدباء، ج١٠، ص٢٤٩.

٤

كان زيد مستاءً جداً من ظلم الحكام الأمويين وولاتهم للناس، وكان حزيناً لما آلت إليه حالة الناس، فأراد أن يخلص الناس من تسلط هؤلاء الحكام وظلم ولاتهم.

ويروي أبو الفرج عن عبد الله بن مسلم البابكي: ذهبت مع زيد بن علي إلى مكة، فلما حل منتصف الليل في الطريق، واستوت الثريا في السماء، قال لي زيد: يا بابكي أما ترى هذه الثريا أترى أحداً ينالها؟ فقلت: لا، فقال: والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع، فأتقطع قطعة قطعة، وأن الله يصلح بين أمة محمد ﷺ[1].

يتضح لنا من هذا الحديث كيف كانت الحالة الاجتماعية في ذلك العصر، وكم كان زيد يتألم مما آلت إليه أوضاع المسلمين، ومن الظلم الذي كانوا يتحملونه، ويبين لنا أن زيداً كان يبتغي رضى الله في ثورته، ويهدف إلى تحقيق راحة الناس وسعادتهم. وقد روي أن الإمام الصادق عليه السلام قال فيه: إن زيداً كان من علماء آل محمد ﷺ، غضب لله وثار من أجله، وقاتل أعداء الله حتى قتل[2].

كان زيد دائماً يتحين الفرصة المناسبة ليجمع أتباعاً حوله، وبمساعدتهم

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص١٢٩.

(٢) عيون أخبار الرضا، ص١٩٥.

يخلّص الناس من ظلم الحكام الأمويين، وفي النهاية حانت له هذه الفرصة، فوعده الناس بالعون، ولكن الذين أعطوه هذا الوعد كانوا من العراق، وهم الذين عاهدوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام والإمام الحسن المجتبى عليه السلام والإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام من قبلُ، ولكنهم عندما أحسوا بالخطر الحقيقي اختبؤوا في بيوتهم، ونكثوا ونقضوا مواثيقهم وعهودهم، وتركوهم دون ناصر ولا معين.

وقد اختلف المؤرخون في معرفة السبب (المباشر) الذي جعل زيداً يقوم بثورته، كما اختلفوا في كيفية قيام الثورة ذاتها، فذكر ابن الأثير في إحدى مروياته: ذهب زيد وداوود بن علي بن عبد الله بن العباس ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب إلى خالد بن عبد الله القسري حاكم العراق فأجازهم، ورجعوا إلى المدينة، وعندما انتقلت الولاية في العراق إلى يوسف بن عمر كتب إلى هشام رسالة جاء فيها: إن خالداً اشترى في المدينة أرضاً من زيد بمبلغ (١٠) آلاف دينار، ومن ثم ردّ الأرض عليه فكتب هشام إلى عامل المدينة، طالباً منه أن يسيرهم إليه، وعندما وصلوا إلى هشام سألهم فأقروا باستلام الجائزة من خالد، وأنكروا ما عداها، وأقسموا بالله على ذلك، فصدقهم هشام، وأمرهم أن يذهبوا للعراق لمقابلة خالد، فقبلوا ذلك على كره، وذهبوا إلى العراق والتقوا بخالد وصدقهم فعادوا، وعندما وصلوا إلى القادسية، راسل أهل الكوفة زيداً، فرجع إليهم[1].

وذكر ابن الأثير في رواية أخرى: ادعى خالد أنه أودع زيداً وداوود ونفراً من قريش مبلغاً من المال، وعندما قدموا إلى العراق لمقابلة خالد، قال يوسف لزيد: إن خالداً زعم أنه أودع مبلغاً من المال عندك، فقال زيد: كيف يودعني مالاً، وهو يشتم آبائي على المنبر.

---

(١) الكامل، ج٥، ص٢٢٩.

ثم استدعى يوسف خالداً في عباءة، فقال يوسف: إن زيداً أنكر الوديعة فماذا تقول؟

ـ أتريد أن تجمع مع إثمك فيَّ إثماً في هذا؟ كيف أودعه وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر؟ فقالوا لخالد: ما دعاك إلى ما صنعت؟

قال: شدد علي العذاب، فادعيت ذلك وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدومكم[1].

وقد ذكر مصعب الزبيري الذي تُقدم كتاباته على الطبري والآخرين: ذهب زيد إلى هشام فأرسله هشام إلى يوسف بن عمر في الكوفة فطلب منه يوسف أن يقسم فأقسم زيد أن لا مال عنده، فتركه يوسف وشأنه، فتوجه زيد باتجاه القادسية، وهناك التف الشيعة حوله، وطلبوا منه العودة والقيام بالثورة[2].

وقد ذكر اليعقوبي: أقدم هشام زيداً، وسأله: يقول خالد بن عبد الله أنه أودعك (٦٠٠ ألف) درهم، فقال زيد: ما لخالد عندي شيء. فقال هشام: إذاً عليك أن تشخص إلى يوسف بن عمر حتى يجمع بينك وبين خالد.

ـ أترسلني إلى عبد ثقيف ليتلاعب بي.

ـ عليك أن تذهب إليه. ثم قال له: لقد بلغني أنك تؤهل نفسك للخلافة وأنت ابن أمة.

ـ والله لقد كان إسحاق ابن حرة، واسماعيل عليه السلام ابن أمة، فاختص الله عز وجل أبناء اسماعيل، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان منهم، فاتّق الله يا هشام.

ـ أو مثلك يأمرني بتقوى الله؟

---

(١) الكامل، ج٥، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠.
(٢) نسب قريش، ص٦١.

ـ نعم، علينا أن نتواصى بالتقوى جميعاً.

ثم أرسله هشام مع رسله إلى العراق، وعندما همّ بالخروج، قال: والله إني لأعلم أنه ما أحب أحد الحياة إلا وصار ذليلاً، وكان هذا القول دليلاً على أن زيد سيقوم بالثورة. وكتب هشام إلى يوسف بن عمر حاكم العراق: عندما يأتيك زيد آجمع بينه وبين خالد، ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة، فإني رأيته رجلاً حلو اللسان، وشديد البيان وخليقاً بتمويه الكلام، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله[1].

ونقل الطبري هذه القصة مع اختلاف يسير، وهذه الاختلافات طبيعية نتيجة لمرور أكثر من (٢٠٠) سنة على زمان وقوع الحادثة، حتى عصر الطبري واليعقوبي، وكل واحد من الرواة سمعها بشكل خاص، فربما نسي بعضهم جزئياتها، أو أضاف البعض الآخر عليها من عنده.

وطبقاً لنقل اليعقوبي: قدم زيد إلى عامل العراق واجتمع مع خالد فاتضح كذب خالد، فقال يوسف لزيد: لقد أمرني أمير المؤمنين أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك، فقال زيد: أمهلني ثلاثة أيام لأستريح ويزول عنائي، فقال يوسف: لا، بل تغادر الساعة، ولا تستطيع أن تبقى حتى لساعة أخرى، وقام جنود يوسف بإخراجه إلى خارج الكوفة فلما وصلوا إلى منطقة يقال لها عُذَيْب[2] تركوه ورجعوا وبعد رجوعهم رجع زيد إلى الكوفة والتف حوله الشيعة، فعلم يوسف بالأمر، فأرسل جيشه لقتال زيد وأتباعه، وقتل زيد في هذه المعركة[3]؛ فإما أن يكون اليعقوبي قد اختصر القصة، وإما أن يكون قد نقلها عن الراوي بهذا الشكل.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص٦٥؛ ويرجع إلى: البيان والتبيين، ج١، ص٣١٠؛ وإلى العقد الفريد، ج٥، ص٢١٠.

(٢) مكان قرب القادسية.

(٣) اليعقوبي، ج٣، ص٦٦.

وذكر ابن الأثير: أن زيد انطلق من عند هشام إلى الكوفة، وهناك راح يتنقل خفية من بيتٍ لبيت، وكان الشيعة يأتون إليه ويبايعونه، وكانت بيعتهم على النحو التالي:

إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم، ونصر أهل البيت عليهم السلام، أتبايعون على ذلك، فإذا قالوا: نعم، وضع يده على أيديهم، ويقول: عليك عهد الله وميثاقه، وذمته وذمة رسوله ﷺ، لتفين ببيعتي، ولتقاتلن عدوي، ولتنصحن لي في السر والعلانية، فإذا قال: نعم مسح يده على يده، ثم قال: اللهم اشهد، وهكذا بايعه ١٥ ألف رجل، وقيل ٤٠ ألف رجل[1].

وذكر ابن الأثير في رواية أخرى: قدم زيد إلى الكوفة برفقة داوود بن علي لمقابلة خالد، وبقي في الكوفة فكان الشيعة يأتون إليه، ويطلبون منه أن يقوم بالثورة، ويقولون: إنا لنرجو أن تكون أنت المنصور. وكان من الصعب على زيد، الذي كان يرى الناس ملتفين حلوه، الخروج من الكوفة، فمكث يتعلل إلى أن اضطر إلى الخروج، وعندما وصل إلى القادسية، أو الثعلبية، تبعه أهل الكوفة، وقالوا له: نحن أربعون ألفاً، وكلمتنا وكلمتك واحدة، وليس من أهل الشام أحد هنا، فقال زيد: أخشى أن تخذلوني كما خذلتم أبي وجدي، فأقسموا بأنهم لن يفعلوا ذلك، فقاله له داوود الذي كان يرافقه: يا ابن العم! أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبي طالب حتى قتل؟ والحسن من بعده؟ ألم يقتلوا الحسين عليه السلام؟؛ لا ترجع معهم.

فقالوا لزيد: إن هذا لا يريد أن تظهر أنت، ويزعم بأنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم، فقال زيد لداوود، إن علياً عليه السلام كان يحارب معاوية بدهائه

---

(١) الكامل، ج٥، ص٢٣٣.

ونكرائه، وأما يزيد فقد قتل حسيناً عليه السلام عندما كان الأمر مقبلاً عليهم، فقال داوود: إني خائف إن رجعت معهم إلى الكوفة، أن لا يكون أحد أشد عليك منهم.

ومضى داوود إلى المدينة، ورجع زيد إلى الكوفة، وهناك أتى إليه رجل اسمه سَلَمَة، وسأله:

- كم رجلاً بايعك؟
- ٤٠ ألف رجل.
- وكم رجلاً بايع جدك؟
- ٨٠ ألف رجل.
- وكم رجلاً بقي معه؟
- ٣٠٠ رجل.
- أأنت خير أم جدك؟
- جدّي
- أهذا القرن أفضل أم ذاك؟
- ذاك القرن.
- أفتطمع أن يفي لك هؤلاء القوم وقد غدر أولئك بجدك.
- قد بايعوني، ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم.

وكتب له كذلك عبد الله بن الحسن بن الحسن أيضاً رسالة تحتوي نفس المضمون والمعنى[1]. أعد زيد أعوانه للقتال، ولأنه كان يخشى من القتل قبل الموعد المحدد لقيامه، صار جاهزاً للثورة قبل الموعد المتفق عليه مع أهل الكوفة؛ ومن جهة أخرى كان يوسف يجهز رجاله في الحيرة،

(١) الكامل، ج٥، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣.

وعندما علم أهل الكوفة باستعداد يوسف للقتال، ومدى صعوبة الأمر، وأن المعركة آتية بدأوا بالتراخي، واختلاق الحيل للتفرق عن زيد، فقدم جمع من رؤوسهم إلى زيد وسألوه: ماذا تقول يا زيد في أبي بكر وعمر؟ فترحم عليهما، وقال إن أشد ما أقوله بشأنهم أن الخلافة كانت من حقنا فدفعوها عنا، وقد عدلوا في الناس، فقالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتالهم؟ فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، فهؤلاء ظلمونا وظلموكم وظلموا أنفسهم أيضاً، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أجبتمونا سعدتم، وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل؛ فنقضوا بيعته، وعهودهم، وتفرقوا من حوله[1].

وذكر البلاذري: عندما علم من بايع زيداً أن يوسف بن عمر مطلع، وعالم بأمر زيد، قدم عدة منهم إلى زيد وقالوا: رحمك الله ماذا تقول بشأن أبي بكر وعمر؟ فقال زيد: لقد كنا أحق بالخلافة من بعد رسول الله ﷺ ولكنهما قدما أنفسهما علينا، فحكمونا وحكموا الناس، وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فعندما سمعوا ذلك نكثوا بيعته، وقالوا: كان محمد بن علي عليه السلام إمامنا، ومن بعده جعفر بن محمد عليه السلام، فهو أفضل وأحق بالإمامة من زيد[2].

وروى ابن الأثير: أنه في الليلة التي أراد زيد الخروج فيها، اجتمع حوله ٢١٨ رجلاً فقط، فقال زيد: سبحان الله أين الناس؟ فقالوا: لقد حاصروهم في المسجد الكبير، فقال زيد: والله هذا ليس بعذر يقبل لمن بايعنا! وفي تلك الأثناء وصلت القوات الموكلة بقتاله، وعندما رأى زيد قلة عدد أعوانه، قال لنصر بن خزاعة الذي كان برفقته: أخاف أن يكون القوم قد

---

(١) المصدر السابق، ج٥، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣.
(٢) أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٤٠.

فعلوها حسينية؟ فقال نصر: أما أنا والله لأقاتلن معك حتى أموت، فقاتل زيد وأعوانه ببطولة وشجاعة، إلى أن أصيب زيد بسهم في جبينه، فحملوه إلى البيت، وأحضر أصحابه له طبيباً، وعندما أخرج الطبيب السهم من جبينه لفظ زيد أنفاسه الأخيرة، ومات، وقد ذكر الزبيري أن استشهاده كان في الثاني من شهر صفر سنة (١٢٠) للهجرة، وهو في الثانية والأربعين من عمره.

احتار أعوانه ماذا يفعلون بجثته الطاهرة؛ لأنهم كانوا يخشون من قيام رجال يوسف بالتمثيل بها بقطع رأسه أو صلبه، فقال بعضهم نطرحه في الماء، وقال بعض نحتز رأسه فندفنه بالتراب، ونضع جسده بين القتلى، وفي النهاية دفنوه، وأجروا الماء على قبره، ولكن أحد الحاضرين أخبر يوسف بالأمر، وتم إخراج الجسد بأمر يوسف من القبر، وقام رجاله بقطع رأسه عن جسده، وأرسلوه إلى هشام، وعلقوا جسده على الكناسة[١] في الكوفة؛ والبيتان اللذان ذكرهما الحكيم بن العياش فيهما إشارة إلى هذه الحادثة[٢]:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

وكما ذكر سابقاً فإن زيداً لم يدع المهدوية، ولكن يفهم من أقوال بعض المحرضين له بأنهم كانوا ينادونه بـ«المنصور» أو «المهدي».

إن شرح هذه الحادثة وبالتفصيل في كتاب يختص بحياة الإمام الصادق عليه السلام، كان من أجل أن يطلع القارىء قليلاً على الحالة الاجتماعية في ذلك الزمان، وليتضح لماذا ردّ الإمام الصادق عليه السلام دعوة البعض للثورة، واعتباره أن نشر فقه آل محمد صلى الله عليه وآله وعلوم أهل البيت عليهم السلام مقدّم على ذلك. في الحقيقة إن أولئك الذين كانوا يدعون بني هاشم للثورة،

---

(١) نسب قريش، ص٦١.
(٢) معجم الأدباء، ج١٠، ص٢٤٩.

ويبايعونهم، ويقدمون لهم الوعود المختلفة، لم يكن هدفهم القضاء على البدعة، أو إحياء السنة، بل كلهم أو غالبهم كانوا غير قادرين على تحمل جور حكم خلفاء عصرهم، أو راغبين في الوصول إلى السلطة بأنفسهم.

وليتضح السبب أكثر في عدم قبول الإمام لدعوة هؤلاء الناس، سأشير إلى ما يلي:

عندما أخذت دعوة العباسيين بالانتشار في إيران، وتم التوحد بين أهل هذه البلاد مع العرب القحطانيين الذين كانوا يعيشون هناك، وأظهروا مخالفتهم للمروانيين، بدأ النزاع بينهم وبين الوالي المعيّن من قبل مروان بن محمد، وقام أبو مسلم على نصر بن سيار حاكم خراسان فهرب منه فقام أبو مسلم بإرسال قحطبة بن شبيب لقتال جيش مروان المتوجه إلى خراسان، فدارت بينهم حرب قرب الفرات، وقتل فيها قحطبة، فبايع جنوده ابنه الحسن وكان قحطبة قد أوصى جنوده قبل موته: عندما تصلون إلى الكوفة اذهبوا إلى أبي سلمة الخلال وأطيعوه فيما يأمركم.

وصل حسن مع جنوده إلى الكوفة في شهر محرم سنة (١٣٠) للهجرة، وفي ذلك الوقت كان ابراهيم الإمام العباسي قد وافته المنية في السجن، وكان قبل وفاته قد أوصى أتباعه بالذهاب إلى الكوفة والدخول في طاعة أبي العباس السفاح.

قدم أبو العباس إلى الكوفة مع أسرته في شهر صفر سنة (١٣٢) للهجرة، فأسكنهم أبو سلمة في بيت الوليد بن سعد الذي كان أحد أتباع بني هاشم، وكما ذكر فقد أخفى خبر قدومه إلى الكوفة (٤٠) يوماً[١]، وكلما كانوا يسألونه: من هو الإمام؟ كان يقول: لا تتسرعوا، فكان يريد أن يسلم السلطة إلى أبناء أبي طالب[٢].

---

(١) الكامل، ج٥، ص٤٠٩.

(٢) الكامل، ج٥، ص٤١٠.

وذكر اليعقوبي: لقد أخفى أبو سلمة أمر دخول أبي العباس السفاح وأهله إلى الكوفة، وكتب في هذه المدة رسالة إلى جعفر بن محمد عليه السلام فأجابه: أن من تبحثون عنه ليس أنا، وبعث برسالة أخرى إلى عبد الله بن الحسن فأجابه: إني رجل كبير السن؛ وابني محمد أجدر بذلك، وأرسل أتباعه ليبايعوا ابنه محمداً، هذه رسالة أبي سلمة إلي. فقال له جعفر بن محمد عليه السلام: أيها الشيخ لا تسفك دم ابنك، فوالله إني أخشى أن يقتل[1] في أحجار الزيت[2].

وذكر المؤرخون بأن الشخص الذي حمل الرسالة إلى الإمام الصادق عليه السلام كان ينتظر الجواب، ولما أخذ الإمام الرسالة، وضعها فوق السراج حتى احترقت، وقال له: هذا هو جواب رسالتك.

وقد أشار أبو هريرة الأبار في أشعاره إلى هذه الحادثة (انظر شعره في الفصل ١٤).

فيا ترى لماذا رد الإمام الصادق عليه السلام دعوة أبي سلمة وأحرق رسالته؟

الجواب هو لأن دعوة أبي سلمة كانت دعوة سياسية، ولم تكن عن اعتقاد راسخ أن الإمام الصادق عليه السلام إمام واجب الطاعة، ولو كان يعتقد ذلك لما أرسل رسالة أخرى إلى عبد الله بن الحسن طالباً منه أن يتصدى لزعامة الجنود.

وذكر الكليني حادثة أخرى عن سدير الصيرفي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وقلت له: والله ما يسعك القعود، فقال: ولِمَ يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك والله لو كان لأمير المؤمنين (يعني علياً عليه السلام) ما لكَ من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي،

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص٨٦.

(٢) مكان خارج المدينة قتل فيه محمد.

فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا، قلت: مائة ألف، قال عليه السلام: مائة ألف، قلت: نعم، ومائتي ألف، قال عليه السلام: مائتي ألف، قلت: نعم ونصف الدنيا، قال (الرواي): فسكت عني ثم قال عليه السلام: يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى يَنْبُع[1]؟ قلت: نعم، فأمر بحمار وبغل أن يسرجا، فبادرت فركبت الحمار، فقال: يا سدير، أترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل، قال: الحمار أرفق بي، فنزلت، فركب الحمار، وركبت البغل، فمضينا، فحانت الصلاة، فقال: يا سدير، انزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها، فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء، ونظر إلى غلام يرعى جداء، فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلينا، فلما فرغنا من الصلاة، عطفت على الجداء، فعددتها فإذا هي سبعة عشر[2].

وهناك روايات أخرى نقلت في هذا المجال، سأغض الطرف عنها طلباً للاختصار، وأذكر هنا مرة ثانية بكلام سيد الشهداء: الناس عبيد الدنيا يريدون الدين من أجل إصلاح معيشتهم ودنياهم، وأما عند الامتحان فيقل المتدينون «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلَّ الديَّانون».

ويتضح لنا من مضمون بعض الروايات أن ثورة زيد كانت محل تأييد الإمام الصادق عليه السلام كما ذكر ذلك الصدوق في عيون أخبار الرضا: عندما ثار زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام في البصرة، وأحرق بيوت بني العباس قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: أخوك زيد قد فعل هذا، ومن قبله فعل هذا زيد بن علي، وقتل، ولولاك لقتلته فقد أتى كبيرة، فقال الإمام عليه السلام: لا تقس أخي زيد إلى زيد بن علي عليه السلام فإنه كان من علماء آل محمد عليهم السلام،

---

(١) قرية بجانب جبل رضوى على يمين المسافر من المدينة إلى البحر.
(٢) أصول الكافي، ج٢، ص٢٤٣ ـ ٢٤٣.

غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، وقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام أنه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليه السلام، يقول: رحم الله عمي زيداً بن علي، إنه دعا إلى «الرضا من آل محمد» ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون أنت المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك[1].

وينقل في رواية أخرى عن عبد الله بن سيابة: قال خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة، فدخلنا على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال لنا: أعندكم خبر عن عمي زيد؟ فقلنا: قد خرج أو هو خارج، فقال: فإن أتاكم خير فأخبروني، مكثنا أياماً فأتى رسول بسام الصيرفي بكتاب فيه إن زيداً قد خرج يوم الأربعاء في غرة صفر، وقتل يوم الجمعة فذهبنا للإمام الصادق عليه السلام، ودفعنا إليه الكتاب، فقرأه وبكى، ثم قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» عند الله أحتسب عمي، إن عمي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام[2].

وجاء في رواية أخرى في ما يتعلق بالخروج بالسيف قبل ظهور الإمام القائم عليه السلام: لا تقولوا بأن زيداً قد ثار (أي لا تتذرعوا بثورته) فزيد كان رجلاً عالماً وصادقاً، ولم يدعكم لنفسه، بل دعاكم لبيعة «الرضا من آل محمد» ولو ظفر لوفى بوعده[3]؛ ولقد كتب عن زيد وحياته وثورته عدة كتب، من جملتها كتاب باللغة الفارسية من تأليف الأستاذ الفقيد المرحوم الدكتور حسين كريمان بعنوان «سيرة وثورة زيد بن علي»[4].

ما فعلوه مع ابن زيد أيضاً هو مثال على عدم وفاء هؤلاء الذين يدّعون

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج١، ص١٩٤ ـ ١٩٥.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج١، ص١٩٦ ـ ١٩٧.
(٣) روضة الكافي، ص٢٦٤؛ وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٦.
(٤) اسم الكتاب باللغة الفارسية هو «سيرة وقيام زيد بن علي».

الوفاء والحب لأهل البيت عليهم السلام، فعندما استشهد زيد ذهب ابنه يحيى من الكوفة إلى نينوى، ومن هناك إلى المدائن ومن المدائن إلى الري، وفي النهاية إلى سرخس، وهناك بقي في بيت رجل يدعى يزيد بن عمر من بني تميم؛ فأتاه قوم من الخوارج، وقالوا له: لو خرجت على بني أمية فسننصرك، وكان يحيى يريد القبول بما قالوا، لكن يزيد (صاحب البيت)، قال له: كيف تريد أن تقاتل بمساعدة قوم يتبرؤون من علي وآله، فرفض يحيى طلبهم بكلام حسن ولبق، ومن ثم ذهب إلى بيت رجل يدعى حَرَيشاً وهو من بني شيبان وبقي عنده حتى موت هشام بن عبد الملك.

وفي خلافة الوليد بن يزيد أرسل يوسف إلى نصر بن سيار والي خراسان يطلب منه أن يوصي حريشاً بمضايقة يحيى ويصعب عليه الأمر فأرسل نصر إلى عامله في بلخ وهو عقيل بن معقل طالباً منه أن يبذل جهده لإجبار حريش على المجيء برفقة يحيى إليه وطلب عقيل من حريش أن يأتي بيحيى معه فلم يقبل حريش، فجلده عقيل (٦٠٠) جلدة، فقال حريش: والله لو كان يحيى تحت قدمي لما رفعت قدمي عنه، فافعل ما شئت فقال ابن حريش، ويدعى قريش لعقيل: لا تقتل أبي وسأحضر لك يحيى، فأرسل عقيل معه عدة رجال ليحضروا يحيى، وبالفعل أحضروه إلى نصر بن سيار فكبله نصر بالسلاسل، ثم أرسل نصر برسالة إلى يوسف، الذي أخبر بدوره الوليد، وطلب منه أن يصدر أمره في ذلك، فقال الوليد: فليطلقوا سراحه وسراح أعوانه، فأعلم يوسف نصراً بذلك، فاستدعى نصر يحيى من السجن، وقال له اتق الفتنة! فقال يحيى: أيوجد في أمة محمد صلى الله عليه وآله فتنة أكبر منكم، فلم يرد عليه نصر، وأمر بإعطائه ألفي درهم، وأن يعطوه حذاءً وطلب منه الذهاب إلى الوليد.

وذكر أبو الفرج قصة حول إطلاق سراح يحيى إن كانت صحيحةً فإنها تبين مدى التزام الناس في زمانه بالدين، ومحبة أهل البيت عليهم السلام، وثباتهم في حفظ هذه المحبة وهذا التدين، بل تبين مدى التزام الناس في كل

العصور، هؤلاء الناس الذين كانوا يدعون أولئك العظام إلى الثورة، ويعدونهم بالمؤازرة والمناصرة، فكانوا يؤازرونهم ويناصروهم طالما ليس هناك خطر كبير في ذلك، ولكن عندما يصل الأمر إلى القتل فإنهم يتركونهم، ويفرون هاربين، هؤلاء الناس ينطبق عليهم قول الإمام الحسين عليه السلام «يريدون الدين من أجل إصلاح معيشتهم ودنياهم».

وذكر أبو الفرج: عندما تم إطلاق سراح يحيى وتم إخراج القيد من رجله، ذهب مجموعة من أغنياء الشيعة إلى الحداد الذي فكَّ القيد من رجل يحيى، وطلبوا منه أن يبيعهم القيد، وتنافسوا فيه وتزايدوا حتى وصل المبلغ إلى (٢٠) ألف درهم، فخاف الحداد أن يشيع خبره. فيؤخذ منه المال، فقال لهم: اجمعوا ثمنه بينكم، فرضوا بذلك، وأعطوه المال فقطع القيد قطعة قطعة، وقسَّمه بينهم، فاتَّخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبرَّكون بها[1]، ولكن بعد مدة عندما قام يحيى بثورته في جوزجان لم يكن هؤلاء الأغنياء بين السبعين رجلاً الذين كانوا من أتباعه وأنصاره!! فأين كان هؤلاء الذين اشتروا لخواتمهم أحجاراً من قيده؟ ولماذا لم يذهبوا إلى حاكم سرخس، ويطلبوا منه أن لا يقتل يحيى، أو أن يسأل فيه الخليفة؟

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص١٥٥.

٥

من جملة الأشخاص الذين ادعوا المهدوية في حياة الإمام الصادق عليه السلام محمد بن عبد الله حفيد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فمن جملة الروايات التي ذكرت بشأن ظهور المهدي الموعود المنتظر (عج)، هناك رواية نصها ما يلي: «المهدي من ولدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»، وقد تباحث العلماء حول هذا الحديث منذ زمن طويل، ويبدو أن أتباع محمد بن عبد الله الذي ذكرناه هم الذين وضعوا هذا الحديث فاسمه محمد، واسم أبيه عبد الله، وكما أضافوا جملة «اسم أبيه اسم أبي» على «المهدي من ولدي اسمه اسمي» ويتضح لنا من بعض الأدلة أن رجلاً يدعى زائدة أضاف هذه الجملة على الرواية المذكورة[١].

كان محمد قد لفت أنظار الكثيرين في أواخر العهد الأموي، ومن جملتهم، العباسيين الذين علقوا آمالهم عليه وانتظروا قيامه بالثورة.

يروي أبو الفرج عن عمير بن فضل الخثعمي: رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج أحدهم، وقد علمت فيما بعد أن ذلك الشخص هو محمد بن عبد الله بن الحسن، وفلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب، ثم سوى ثيابه على السرج. ومضى فقلت وكنت حينئذٍ أعرفه ولا أعرف محمداً،

---

(١) كشف الغمة، ج٢، ص٤٧٦.

فسألته: من هذا الذي أعظمته بهذا الإعظام، أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟

ـ أو ما تعرفه؟

ـ لا!

ـ هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مهدينا أهل البيت[1].

ويروي الشيخ المفيد عن عيسى بن عبد الله كيف بايع بعض رجال بني هاشم محمداً، وادعوا بأنه المهدي المنتظر: تجمع جماعة من بني هاشم في قرية أبواء[2]، وفيهم ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأبو جعفر المنصور وصالح بن علي وعبد الله بن الحسن وابناه محمد وابراهيم ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فقال صالح: قد علمتم أنكم الذين يمد الناس إليهم أعينهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله، فحمد الله عبد الله بن الحسن ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي، فهلمَّ فلنبايعه جميعاً، فقال أبو جعفر المنصور: لأي شيء تخدعون أنفسكم والله لقد علمتم ما الناس أصور أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى، إن دعاهم محمد فلن يستجيبوا لدعوة أحد غيره، فقال الحاضرون: قد والله صدقت إن هذا الذي نعلم؛ وهكذا بايعه الجميع ومسحوا على يده.

قال عيسى بن عبد الله حفيد علي عليه السلام وراوي هذا الحديث: قدم رسول عبد الله بن الحسن (والد محمد ذي النفس الزكية) إلى أبي، أن ائتنا فإنا مجتمعون لأمر، وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد عليه السلام ويقول راوٍ

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص٢٣٩.

(٢) قرية قرب يثرب (المدينة) وهي المكان الذي وقعت فيه غزوة أبواء، ورغم حشد الجيوش هناك، إلاّ أنه لم يحدث أي قتال.

آخر بأن عبد الله (والد محمد) قال للحاضرين: لا تريدوا جعفراً، فإنا نخاف أن يفسد عليكم أمركم، وقال عيسى: فأرسلني أبي [لمعرفة] ما اجتمعوا له، فجئتهم، ومحمد يصلي على طنفسة رجل مثنية، فقلت لهم: لقد أرسلني أبي لأسألكم لأي شيء اجتمعتم؟ فقال عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله، ووصل في الأثناء جعفر بن محمد عليه السلام فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جانبه فتكلم معه بمثل كلامه معي، فقال جعفر عليه السلام: لا تفعلوا، فإن هذا الأمر لم يأت بعدُ، وقال لعبد الله: إن كنت ترى أن هذا هو المهدي فليس به، ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإنا والله لا ندعك ـ وأنت شيخنا ـ ونبايع ابنك في هذا الأمر، فغضب عبد الله وقال: والله ما أطلعك الله على غيبه ولكنه يحملك على هذا الحسد لابني، فقال جعفر عليه السلام: والله ما ذاك يحملني، ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم، وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب على كتف عبد الله بن الحسن، وقال: إنها والله ما هي إليك، ولا إلى ابنك، ولكنها لهم، وإن ابنيك لمقتولان، ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران، وقال: أرأيت ذلك صاحب الرداء الأصفر، (يعني أبا جعفر)؟

ـ نعم.

ـ والله سيقتلهم.

ـ سيقتل محمداً.

ـ نعم!

فقلت في نفسي حسده ورب الكعبة! قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلهما[1].

---

(١) الإرشاد، ج٢، ص١٨٤؛ مقاتل الطالبيين، ص٢٣٣ (باختصار، وص٢٥٤ ـ ٢٥٧).

وذكر البلاذري: دعا عبد الله أقاربه وقومه لمبايعة ابنه، وكذلك طلب من جعفر بن محمد عليه السلام، أن يبايعه فرفض جعفر عليه السلام، وقال: أعرض عن هذا لكي لا تهلك نفسك، وأسرتك، فأولاد عمنا العباس يستلمون الحكم، وإن أحببت فادع الناس لمبايعتك فأنت أكثر فضلاً من ابنك[1].

وأورد ابن حجر الهيثمي هذا الخبر واعتبره[2] من مكاشفات الإمام الصادق عليه السلام.

وذكر أبو الفرج: كان جعفر بن محمد عليه السلام إذا رأى محمد بن عبد الله تغرغرت عيناه، ثم كان يقول: بنفسي هو إن الناس ليقولون فيه إنه المهدي وإنه لمقتول[3].

وكانت نهايته كما أخبر الإمام جعفر عليه السلام فاستشهد محمد في عهد أبي جعفر المنصور.

وذكر سعد بن عبد الله في المقالات والفرق: ادعت فرقة من الناس بأن محمد بن عبد الله بن الحسن هو الإمام المهدي وأنه لم يقتل ولا يزال يعيش في جبل طمية[4].

إن تجمع هؤلاء القوم ومبايعتهم لمحمد بن عبد الله بن الحسن، وكلام أبي جعفر المنصور المؤيد لهذه البيعة، يعد الاجتماع الأول لهذه المجموعة، ويبدو أنه قد تم بعد مقتل الوليد بن يزيد، حيث خفّت إلى درجة ما قساوة رجال الحكومة وتشددهم، ففي عهد هشام بن عبد الملك لم يكن بالإمكان عقد مثل هذه الاجتماعات في ظل تشدد رجال الحكومة ومراقبتهم

---

(١) أنساب الأشراف، ص٧٨؛ إثبات الوصية، ص١٥٦، مع اختلاف يسير بالألفاظ.
(٢) الصواعق المحرقة، ص٢٠٦.
(٣) مقاتل الطالبيين، ص٢٠٨؛ الإرشاد، ج٢، ص١٨٧.
(٤) المقالات والفرق، ص٧٦.

للوضع، ويجب أن نتساءل هنا: إذا كانت هذه المجموعة قد عقدت اجتماعها في الأبواء وقامت بمبايعة محمد، فلماذا قام ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، الساعي لاستلام الخلافة، والملقب بالإمام والذي أرسل رجاله للحصول على مبايعة الناس، بمبايعة محمد ذو النفس الزكية، وكيف ولماذا امتنع أبو جعفر المنصور عن تأييد أقاربه ومساعدتهم وقام بمبايعة محمد؟

ذكر أبو الفرج: ثم لم يجتمعوا إلى أيام مروان بن محمد، ثم اجتمعوا فبينا هم يتشاورون، إذ جاء رجل إلى ابراهيم فشاوره في شيء فقام وتبعه العباسيون فسأل العلويون عن ذلك، فإذا الرجل قد قال لإبراهيم الإمام قد أخذت لك البيعة في خراسان وجمعت لك الجيوش[1].

فيتضح لنا مما ذكره أبو الفرج بأن العباسيين لا يزالون يأخذون الحيطة في أمرهم، فبايعوا محمداً في البداية لأنهم لم يكونوا واثقين من أمرهم، ولكن عندما علموا بأن أهل خراسان قد بايعوا ابراهيم الإمام تركوا محمداً.

ويروي أبو الفرج عن الحسين بن زيد: كنت واقفاً بين القبر والمنبر فرأيت رجالاً يخرجون بني الحسن من بيت مروان ليتم إبعادهم إلى «الربذة» فأرسل جعفر بن محمد عليه السلام في طلبي وسأل: ما الأمر؟! فقلت رأيت بني الحسن يخرج بهم في المحامل، قال: اجلس! فجلست، وطلب غلاماً له، ثم دعا الله كثيراً وقال للغلام: اذهب فإذا حملوا فأت فأخبرني، فأتى الغلام وأخبره بقدومهم، فقام جعفر عليه السلام ووقف خلف ستار من شعر أبيض، وقد جاؤوا بعبد الله بن الحسن وابراهيم، وجميع أفراد أسرتهم فلما رآهم جعفر عليه السلام هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته، ثم التفت إلي وقال: يا أبا عبد الله والله لا تحفظ حرمة بعد هذا، والله ما وفت الأنصار ولا

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص٢٥٧.

أبناء الأنصار لرسول الله ﷺ بما أعطوه من البيعة على العقبة، ثم قال: لقد أخذوا على أنفسهم أن يمنعوا رسول الله وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم[1].

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٧٤ ـ ١٧٥؛ مقاتل الطالبيين، ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

٦

إن ضعف حكومة المروانيين، ومن ثم تلاشيها أدى إلى ظهور نوع من الحرية السياسية، وظهور الأرضية المناسبة لقيام الثورات الدينية، والتحزب ضد الحكام، وكذلك نتج عنه حرية البحث العلمي في شتى المجالات ومن جملة ذلك، الأبحاث الكلامية التي وصلت إلى ذروة تقدمها من خلال الحلقات الدراسية، وكان هدفها إما إغناء العلم والمعرفة، أو مواجهة الخصم والتغلب عليه، وقد بدأت هذه الأبحاث قبل عشرات السنين، ولكنها تعاظمت وبلغت ذروتها في نهاية القرن الأول، وبداية القرن الثاني الهجري، حيث اتخذت لنفسها رونقاً خاصاً، فلماذا؟

في الحقيقة إن الناس الذين استجابوا لدعوة الرسول ﷺ في مكة والمدينة أناس ذوو ذهنية بسيطة وساذجة، وسبب ذلك هو البيئة والمحيط الذي ولدوا وتربوا وعاشوا فيه، وعندما دخلوا الإسلام كانوا يقبلون كلام النبي ﷺ دون بحث أو جدال، وعندما كانت تعترضهم مشكلة ما، في فهم موضوع ما، كانوا يخبرون الرسول ﷺ بها، ويسألونه عنها، أو كانوا يرجعون إلى القرآن والسنّة أو يستعينون بأصحاب رسول الله ﷺ، من ذوي البصيرة منهم، وما كانوا يفهمونه من ظاهر القرآن كان بمثابة حجة ونور لهم، ينيرون به ضمائرهم ويوقظون به قلوبهم، فكانوا بالنسبة لله يعلمون بأن الله عالم ولكن لم يفكروا أبداً فيما إذا كان علمه هو عين ذاته، أو جزء منها، ولم يخطر في بالهم شيء بخصوص ذلك، وإن حدث ذلك يوماً فكانوا يتركونه

وشأنه. لم يعرفوا المنطق اليوناني، ولم يعرفوا علم الكلام، وعندما بدأوا بالفتوحات ودخول الأراضي المتاخمة لهم في الشرق، والشمال، واجهوا شعوباً لديها أفكار دينية معقدة، وليست بسيطة ودون تعقيد كما هي عندهم، فحول كل فكرة لديهم عشرات الشبهات، ومع كل شبهة مغالطات، وبشكل عام كانت تلك الأمم والشعوب تعتني بالبحث والجدل أكثر من عنايتها بالإيمان والعمل.

وكان العديد من علماء هذه المناطق والبلدان يشتغلون بالأبحاث العقلية، التي سميت فيما بعد بين علماء المسلمين بعلم الكلام، وكانت أنواع الكلام اليهودي والمسيحي والزرتشتي محل بحث في مجالس هؤلاء العلماء، وكان تبليغ الإسلام على عاتق هؤلاء الناس، ذوي التفكير الفطري البسيط، وقد واجهوا أناساً كالمشار إليهم، فلذلك من الطبيعي أن يحصل بينهم الحوار والنقاش والجدال، فيسكت هؤلاء (المسلمون) لعدم قدرتهم على تقديم الأجوبة المناسبة لأولئك.

وأكثر قراء هذا الكتاب اطلعوا على القصة التي ذكرها سعدي في كتابه «كلستان»[1] ومع أن القصة كتبت في القرن السابع الهجري؛ ولكنها قصة قديمة العهد ومعبرة ومفادها:

إن مناظرة عقدت بين أحد العلماء المشهورين، وأحد الملحدين لعنهم الله؛ فلما لم يستطع العالم أن يتم الحجة على الملحد استسلم، وألقى سلاحه، ورجع من الميدان، فقال له أحدهم: ألم تستطع بعلمك هذا كله أن تحتج على هذا الملحد؟! فأجاب: إن علمي هو القرآن والحديث وكلام العلماء، وهو لا يعتقد بهذه الأمور، ولا يستمع إليها، فما هي حاجتي لسماع كفره وإلحاده.

---

(١) كلستان، الباب٤، الحكاية الرابعة. (اسم كتاب ذائع الصيت في الوسط الفارسي، للشاعر سعدي الشيرازي أحد كبار شعراء الفرس، وقام بترجمة كتابه هذا إلى العربية الشاعر السوري محمد الفراتي، وجعل عنوانه «روضة الورد» وقامت بطباعته دار طلاس في سوريا.م).

ولكن علماء المسلمين أدركوا شيئاً فشيئاً بأن الامتناع عن الحوار والنقاش لن يفيدهم في شيء، وأن عليهم محاربة خصومهم بنفس سلاحهم؛ فتعلموا المنطق والكلام، فراجت سوق الجدل والكلام، وكان أول موضوع تم البحث فيه، هو بحث الجبر والاختيار، هل أن الإنسان مختار في أعماله؟ أم أن إرادة الله تجبره على أعماله كلها؟

وذكر في بعض الكتب بأن تاريخ ظهور هذه الأبحاث هو نهاية القرن الأول الهجري، ولكننا نستطيع أن نستشف من خلال خطب الإمام علي عليه السلام ومحاججاته بأنه قبل منتصف القرن الأول للهجرة النبوية عرف المسلمون بحث القدر، ففي خطبة قصيرة للإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة (الخطبة رقم ٧٨) سأله أحد الأشخاص أكان ذهابنا إلى الشام بقضاء وقدر من عند الله، فرد عليه الإمام عليه السلام بالإيجاب، فقال الرجل: إن ما تحملناه من مشقة ذهب هباء إذاً، فقال الإمام عليه السلام أتقصد بذلك القضاء الواجب والقدر المحتوم؟

ونستطيع أن نرى هذا السؤال والجواب في الكتب التاريخية أيضاً، فقد ذكر ابن الأعثم الكوفي: في طريق العودة من الشام سأل أحد الكوفيين: هل كانت الحرب التي خضناها مع أهل الشام بقضاء وقدر من الله يا أمير المؤمنين؟ فرد عليه الإمام عليه السلام بالإيجاب، فقال (السائل) إذاً ليس لنا ثواب وجزاء عند الله لأن القضاء والقدر هو الذي جعلنا نقاتل![1]...

وهناك روايات أخرى لدينا نستطيع أن نفهم منها بأن الرسول صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام سئلا أيضاً عن القدر[2].

وعلى كل حال فإن هذا البحث قطع شوطاً بعيداً في المجالس العلمية في نهاية القرن الهجري الأول، وبدايات الثاني، وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام

---

(١) ترجمة تاريخ ابن الأعثم، الفتوح، ص٧٠٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٥، ص٨٧ وبعدها.

عن ذلك كثيراً؛ ومن جملة ذلك ما رواه جميل بن دراج: سألت أبا عبد الله عن القضاء والقدر، فقال: هما خلقان من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء[1].

وفي جواب آخر عن القضاء والقدر يقول عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، وجمع الله الخلائق سألهم عما عهد[2] إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم[3].

وسأله آخر: أفوض الله إلى العباد أمراً؟

ـ الله أجلّ وأعظم من ذلك.

ـ فأجبرهم على ذلك؟

ـ الله أعدل من أن يجبرهم على فعل، ثم يعذبهم عليه.

ـ وهل بين هاتين المنزلتين منزلة؟

ـ نعم، ما بين السماوات والأرض[4].

ومن زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله، فقد أخرج الله من سلطانه؛ ومن زعم أن المعاصي عملت بغير قوة الله فقد كذب على الله[5]...

ومن الأبحاث التي تمت في عهد الإمام الصادق عليه السلام أي في نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني بحث حدوث وقدم العالم، فهل العالم حادث أم قديم؟ ونتيجة البحث في حدوث العالم أو قدمه، ستنعكس بالتالي على صفات الله تعالى، فهل هو حادث أم قديم.

وكان من جملة الذين سألوا الإمام الصادق عليه السلام عن موضوع حدوث

---

(١) بحار الأنوار، ج٥، ص١٢٠ عن بصائر الدرجات.

(٢) عهد ألست.

(٣) الإرشاد، ج٢، ص١٩٧.

(٤) بحار الأنوار، ج٥، ص١١٦ عن تفسير علي بن ابراهيم.

(٥) المصدر السابق، ص١٢٧.

العالم، أبو شاكر الديصاني، الذي قال عنه ابن النديم: يعد أبو شاكر من المتكلمين الكبار الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام؛ ولكنهم في الحقيقة كانوا زنادقة[1]، حيث رووا: «دخل أبو شاكر مجلس الإمام الصادق عليه السلام يوماً فمدح آل البيت، ومن ثم قال: . . . وإذا ذكر العلماء فعليك تثنى الخناصر، فخبرنا أيها البحر الزاخر، ما الدليل على حدوث العالم؟

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إن أقرب دليل على ذلك ما أذكره لك، ثم دعا بيضة فوضعها في راحته، وقال: هذا حصن ملموم، داخله غرقي رقيق، يطيف به كالفضة السائلة، والذهبة المائعة، أتشك في ذلك؟

قال أبو شاكر: لا شك فيه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: ثم إنه ينفلق عن صورة كالطاووس، أدخله شيء غير ما عرفت؟

قال: لا.

قال عليه السلام: هذا الدليل على حدوث العالم.

فقال أبو شاكر: دللت أبا عبد الله فأوضحت، وقلت فأحسنت وذكرت فأوجزت، وقد علمت أنا لا نقبل إلاّ ما أدركناه بأبصارنا، وسمعناه بآذاننا أو ذقناه بأفواهنا أو شممناه بأنوفنا، أو لمسناه ببشرنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الاستنباط إلاّ بدليل، كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح، يريد عليه السلام أن الحواس بغير عقل لا توصل إلى معرفة الغائبات، وأن الذي نراه من حدوث الصورة معقول، بُني العلم به على محسوس[2].

---

(١) الفهرست، ص٤٠١.

(٢) الإرشاد، ج٢، ص١٩٤ ـ ١٩٥؛ كشف الغمة، ج٢، ص١٧٧؛ إعلام الورى، ص٢٩٠ وتشاهد هذه الرواية مع اختلاف يسير في كتاب أصول الكافي وجاء في ختامها أن السائل قد أسلم (أصول الكافي، ج١، ص٧٩ ـ ٨٠).

ومن جملة الذين سألوا الإمام عليه السلام عن هذا الموضوع ابن أبي العوجاء الذي كان يتظاهر بالإسلام ولكنه في الحقيقة كان مانوياً، وقام محمد بن سليمان (والي أبي جعفر المنصور في الكوفة) بإعدامه سنة (١٥٥) للهجرة، وعندما تأكد أنه مقتول لا محالة، قال: والله لقد وضعت ٤ آلاف حديث، ونشرتها بين الناس، جعلت فيها الحلال حراماً والحرام حلالاً[١].

وللإمام عليه السلام مع ابن أبي العوجاء مناظرة عن مسألة الحدوث، حيث سأل الإمام عن سبب حدوث الأجسام (العالم)؟

فأجابه عليه السلام:

إني ما وجدت شيئاً صغيراً أو كبيراً، إلاّ وإذا ضُم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً ما زال ولا حال، الذي يزوال ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم والحدوث والقدم في شيءٍ واحد؛ قال: عبد الكريم (ابن أبي العوجاء): هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت، واستدللت بذلك على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثهن؟

ـ فقال العالم عليه السلام (الصادق عليه السلام): إنّما نتكلم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر، كان لا شيء أدل على الحديث من رفعنا إياه ووضعنا غيره، ولكن أجيبك حيث قدرت أن تلزمنا فنقول أن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ضُم شيء إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم، كما أن في تغييره دخوله في الحدث، (ليس وراءه شيء يا عبد الكريم، فانقطع وخزي..)[٢].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري، ج١٠، ص٣٧٦.

(٢) أصول الكافي، ج١، ص٧٧.

ونقل بأن ابن أبي العوجاء المقتول سنة ١٠٠ هـ. وابن طالوت وابن الأعمى وابن المقفع ومجموعة من الزنادقة كانوا مجتمعين أثناء الموسم في المسجد الحرام، وأبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام إذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبينات، فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليظ هذا الجالس (يعنون: جعفر بن محمد عليه السلام) وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به؟ فقد ترى فتنة الناس به وهو علاّمة زمانه من دون منازع؟ فقال لهم ابن أبي العوجاء: نعم، ومن ثم ذهب إليه، وقال:

ـ أفتأذن لي بالسؤال؟

ـ سل إن شئت.

ـ إلى متى تدوسون هذا البيدر[١]، وتلذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطين والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟ فقل، إنك أنت هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسسه ونظامه.

ـ فقال له الإمام الصادق عليه السلام: إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق فلم يستعذبه، وصار الشيطان وليه وربه يورده مناهل الهلكة، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألف عام[٢] فأحق من أطيع كما أمر، وانتهى عما زجر الله المنشىء للأرواح والصور.

ـ فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت أبا عبد الله فأحلت الأمر إلى غائب.

---

(١) تطواف الدواب في البيدر، أراد بالبيدر الطعن على المسلمين في طوافهم حول الكعبة.
(٢) لكسب المزيد من الاطلاع يُرجع إلى نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص٢١٦ ترجمة المؤلف.

ـ فقال الصادق عليه السلام: كيف يكون يا ويلك غائباً، مَن هو مع خَلقه شاهد، وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويعلم أسرارهم، ولا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون من مكان أقرب من مكان، تشهد له بذلك آثاره، وتدل عليه أفعاله، والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة، محمد صلى الله عليه وآله جاءنا بهذه العبادة، فإن شككت في شيء فاسأل عنه أوضحه لك، فأبلس ابن أبي العوجاء، ولم يَدْر ما يقول، فانصرف من بين يديه؛ فقال لأصحابه: سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة، فألقيتموني على جمرة[1].

وروى الكليني في إسناده عن يونس بن يعقوب: قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال له:

ـ إني صاحب كلام وفقه وفرائض، وقد جئت لمناظرة أصحابك؛ فقال له الإمام عليه السلام:

ـ كلامك هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال:

ـ من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بعضه، ومن عندي بعضه، فقال له أبو عبد الله عليه السلام:

ـ فأنت إذاً شريك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا؛

ـ قال عليه السلام: فسمعتَ الوحيَ عن الله؟

ـ قال: لا.

ـ قال عليه السلام: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: لا.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلي وقال: يا يونس بن يعقوب هذا رجل

---

(١) الإرشاد، ج٢، ص١٩٢ ـ ١٩٤؛ فروع الكافي، ج٤، ص١٩٧ ـ ١٩٨؛ إعلام الورى، ص٢٩٠ ـ ٢٨٩.

خصم نفسه قبل أن يتكلم؛ ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام، كلمتَه؟ وقال يونس: يا لها من حسرة، فقلت: جعلت فداك، سمعتك تنهى عن الكلام، وتقول ويل لأصحاب الكلام، يقولون: هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما قلت ويل لقوم تركوا قولي، وذهبوا إلى ما يريدون، ثم قال: اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله، قال: فخرجت فوجدت حمران بن أعين، وكان يحسن الكلام ومحمد بن النعمان الأحول المشهور بـ«مؤمن الطاق» وكان متكلماً وهشام بن سالم، وقيس الماصر، وكانوا متكلمين؛ فأدخلتهم عليه، فلما استقر بنا المجلس وكنا في خيمة لأبي عبد الله عليه السلام... فإذا هشام بن الحكم قد ورد، وهو ما اختطت لحيته، وليس فينا إلاّ مَن هو أكبر سناً منه، فوسع له الإمام الصادق عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده؛ ثم قال لحمران: كلم الرجل ـ يعني الشامي ـ فكلمه حمران فظهر عليه، ثم قال: يا طاقي كلمه فكلمه فظهر عليه، ثم قال: يا هشام بن سالم كلمه، فتعارفا، ثم قال لقيس الماصر: كلمه فكلمه، وأقبل أبو عبد الله عليه السلام يبتسم من كلامهما وقد استخذل الشامي في يده، ثم قال للشامي:

ـ كلم هذا الغلام ـ يعني هشام بن الحكم ـ فقال له:

ـ نعم؛ ثم قال الشامي لهشام: يا غلام سلني في إمامة هذا ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ، فغضب هشام حتى أرعد، ثم قال: يا هذا، ربك أنظر لخلقه أم هم لأنفسهم؟ فقال الشامي لهشام:

ـ بل ربي أنظر لخلقه.

ـ قال: ففعل لهم بنظره في دينهم ماذا؟

ـ قال: كلفهم وأقام لهم حجة ودليلاً على ما كلفهم، وأزاح في ذلك عللهم.

ـ فقال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟

ـ قال الشامي: هو رسول الله ﷺ.

قال له هشام: فبعد رسول الله ﷺ مَن؟

قال: الكتاب والسنّة.

ـ فقال له هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة، فيما اختلفنا فيه حتى رفعا عنّا الاختلاف، ومكّنانا من الاتفاق؟

ـ قال الشامي: نعم.

ـ قال له هشام: فلم اختلفنا نحن وأنت، وجئتنا من الشام تخالفنا، وتزعم أن الرأي طريقُ الدين، وأنت مقر بأن الرأي لا يجمع على القول الواحدِ المختلفين، فسكت الشامي كالمفكر؛ فقال له أبو عبد الله عليه السلام:

ـ ما لك لا تتكلم؟

ـ قال: إن قلت، إنا ما اختلفنا كابرت، وإن قلت إن الكتاب والسنّة ترفعان الاختلاف أبطلت، لأنهما يحتملان الوجوه؟ ولكن لي عليه مثل ذلك.

ـ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: سله تجده ملياً؟

ـ قال الشامي لهشام: من أنظر للخلق، ربهم أم أنفسهم؟

ـ قال هشام: بل ربهم أنظر لهم.

ـ فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم ويبين لهم حقهم من باطلهم؟

ـ قال هشام: نعم.

ـ قال: من هو.

ـ قال هشام: أما في ابتداء الشريعة، فرسول الله ﷺ وأما بعد النبي ﷺ فغيره.

ـ قال الشامي: ومن هو غير النبي ﷺ القائم مقامه في حجته؟

ـ قال هشام: في وقتنا هذا أم قبله؟

ـ قال الشامي: بل في وقتنا هذا.

ـ قال هشام: هذا الجالس ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ الذي تشد إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء وراثةً عن أب عن جد.

ـ قال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك؟

ـ قال له هشام: سله عما بدا لك.

ـ قال الشامي: قطعت عذري فعلي السؤال، . . إلى أن قال الشامي:

ـ أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وأنك وصي الأوصياء.

وسلم الرجل في النهاية بإمامة الإمام الصادق عليه السلام[1].

وتشاهد مثل هذه الجدالات والحوارات بين الإمام ومعانديه كثيراً، وهي تشير إلى منزلة الإمام الرفيعة في العلم وتوضح مدى تعمق المتناظرين ومعرفتهم بالأبحاث الكلامية وعمق فهمهم لمقدمات هذه الأبحاث.

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٧١ ـ ١٧٣؛ المناقب، ج٢، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤؛ كشف الغمة، ج٢، ص١٧٣ ـ ١٧٥؛ إعلام الورى، ص٢٨٠ ـ ٢٨٣.

٧

كان الصحابة في زمان رسول الله ﷺ يرجعون في الأحكام الفقهية التي يحتاجون إليها إلى القرآن أو الحديث أو يقومون بسؤال النبي ﷺ شخصياً، ليحصلوا على الجواب، وإن لم يكن بالمقدور سؤاله كانوا يتوجهون إلى من كان لديه نصيب من الفقه وكان علي بن أبي طالب عليه السلام هو الصحابي الذي يستطيع أن يستخلص حكم الله كما هو، والقادر على حل كل المشاكل الفقهية بالعلم، كان علي عليه السلام مع رسول الله دائماً لا يفارقه، فيتعلم منه معاني القرآن ويحفظ عنه الحديث، ويقول الإمام بهذا الخصوص:

وقد كان يكون من رسول الله ﷺ له وجهان فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى رسول الله ﷺ فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله؛ وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارىء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلاّ سألت عنه وحفظته[1].

وبعد وفاة رسول الله ﷺ أي في عهد خلافة الخلفاء الثلاثة الأوائل كانوا يرجعون إلى الإمام علي عليه السلام في أي مسألة أو مشكلة تعترضهم

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٠.

فيحلها الإمام عليه السلام لهم، خلفاء كانوا أم صحابة؛ وعندما استشهد الإمام علي عليه السلام راح الأعداء يحاربون أولاده وشيعته، ويضيقون الخناق عليهم، ويبعدون الناس عنهم، ومن جهة أخرى، شرع من باع دينه بدنياه بوضع الروايات والأحاديث الكاذبة، لإرضاء الحكام، أو لمنافعهم الخاصة لدرجة أنه لم يعد بالإمكان التمييز بين الحديث الصحيح والحديث الموضوع الكاذب حتى على الفقهاء، ويمكننا القول أنه من سنة ٤٠ للهجرة، وحتى نهاية القرن الأول الهجري تقريباً، لم يكن سوى لقلة من الصحابة والتابعين معرفة حقاً بالفقه الصحيح ـ فقه آل بيت محمد صلى الله عليه وآله ـ.

وحصل انفراج وانفتاح نسبي في عصر الإمام الباقر عليه السلام وتعد السنوات بين ١١٤هـ وحتى ١٤٨هـ (أي في فترة إمامة الصادق عليه السلام) عصر انتشار فقه آل محمد صلى الله عليه وآله وبعبارة أخرى هذا العصر عصر تعليم وتدريس الفقه الجعفري، (نسبة للإمام جعفر الصادق عليه السلام) واكتسبت المدينة نفسها روحاً وشكلاً جديدين.

ذكرت في كتاب حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام[1] أن القتل الجماعي لأهل هذه المدينة المقدسة على أيدي جنود مسلم بن عقبة قد أوجد نوعاً من اليأس، وفقدان الأمل بين الباقين والناجين من هذه الإبادة لحد أن ضعفاء العقيدة توجهوا إلى الطرب والغناء لطرد هذه الحالة عن أنفسهم وصارت المدينة بين عامي (٦٥ ـ ٨٠) للهجرة، مركزاً لتصدير المغنّين؛ ولكن زالت هذه البدعة وتلاشت مع مرور الزمن، وتوجه الناس مرةً أخرى إلى الأمور الدينية؛ وعاد المحدثون والفقهاء إلى مزاولة عملهم وواجبهم التعليمي.

وسيجد المتتبع في أخبار الشيعة جيداً أن الروايات والأحاديث الواردة

---

(١) اسم الكتاب باللغة الفارسية «زندكاني علي بن الحسين»، ص١٠٣.

عن الإمام الصادق عليه السلام في مختلف المسائل الفقهية والكلامية هي: عبارة عن مجموعة شاملة ومتنوعة وغنية، ولذلك أطلق اسم المذهب الجعفري على المذهب الشيعي، وفي الحقيقة فإن الانفتاح الذي حصل في بداية العقد الثالث من القرن الثاني الهجري قد أدى إلى توجه الناس بحرية أكثر نحو الإمام الصادق عليه السلام ليحل لهم المشاكل الفقهية وغير الفقهية.

وذكر ابن حجر عن الإمام الصادق عليه السلام: لقد نهل الناس من علم الإمام وقاموا بنشره إلى أن ذاع صيته في كل المدن والبلدان وقد روى عنه كبار الأئمة من أمثال: يحيى بن سعيد وابن جريج ومالك وسفيان بن عيينه وسفيان الثوري وأبو حنيفة وشعبة وأيوب السختياني[1].

ولم ينقل العلماء في مروياتهم عن أحد من أهل البيت عليهم السلام ما نقلوه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ولم يكن لأحد من أهل البيت عليهم السلام طلاباً وتلاميذ كما كان للإمام الصادق عليه السلام (بسبب الظروف الصعبة والحصار الشديد الذي كان مفروضاً على بقية الأئمة عليهم السلام ولو أتيح لغيره ما أتيح له لقام يقيناً بنفس الدور؛ ذرية بعضها من بعض.م) فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقاة على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل، وكان للإمام الصادق عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته ما بهرت العقول، وأخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات[2].

ينقل الذهبي عن أبي حنيفة: لم أرى أفقه من جعفر بن محمد[3].

وذكرنا سابقاً قول مالك: لم أر أفضل منه في الفضيلة والعلم والتقوى. وتقدم ذكر أقوال مالك بن أنس وهو أحد أئمة أهل السنة والجماعة بشأن الإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) الصواعق المحرقة، ص٢٠١.
(٢) كشف الغمة، ج٢، ص١٦٦.
(٣) تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٦٦.

كما كان لأبي حنيفة لقاء أو لقاءات متعددة معه، ذكر الزبير بن بكار: التقى أبو حنيفة بالإمام مراراً، وكان أبو حنيفة يفتي بالرأي والقياس في أغلب الأوقات، وقلما رجع إلى الروايات، وينقل عن عبد الله بن شبرمه الذي كان قاضياً في الكوفة سنة ١٢٠ للهجرة: دخلنا أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد عليه السلام فسلمت عليه، وقلت له: إن هذا الرجل من أهل العراق وله بصر ونفاذ في أمر الدين، فقال جعفر عليه السلام: لعله من يقيس أمر الدين برأيه، ثم التفت إلي، وقال: هو النعمان بن ثابت، ولم أكن أعرف اسمه قبل ذلك اليوم، فقال أبو حنيفة: نعم، فقال جعفر عليه السلام له: اتق الله ولا تقس في الدين، فأول من قاس أمر الدين برأيه إبليس قال الله تعالى له اسجد لآدم، فقال: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1] ثم سأل:

ـ أيهما أعظم قتل النفس أم الزنا؟

ـ قتل النفس.

ـ فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلاّ أربعة؟ ثم قال:

ـ أيهما أعظم الصلاة أم الصوم؟

ـ الصلاة!

قال عليه السلام: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فكيف ويحك يقوم لك قياسك؟! اتق الله يا عبد الله ولا تقس الدين برأيك[2].

ومن يتتبع الكتب المؤلفة عن أبي حنيفة وما ضمنت من أقوال له عن الإمام الصادق عليه السلام سيدرك أنه مع أن أبا حنيفة يعتبر نفسه فقيهاً وعالماً كبيراً، إلاّ أنه كان يكن الاحترام للإمام الصادق عليه السلام وعلى الظاهر، لا، بل

---

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) الأخبار الموفقيات، ص٧٦ ؟٧٧؛ حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٧.

بالتأكيد فإن العبارة التي ذكرها مؤلف روضات الجنات عن أبي حنيفة، والتي يقول فيها «إنني أعلم وأفقه من جعفر بن محمد لأنني قد رأيت الكثير من الرجال وسمعت الأحاديث منهم وأما جعفر بن محمد عليه السلام فهو صحفي»[1] ليست لأبي حنيفة نفسه، بل هي قول عبد الله بن الحسن والد محمد ذي النفس الزكية؛ كما وردت في روضة الكافي[2] كما يلي:

أرسل عبد الله بن الحسن برجل إلى أبي عبد الله عليه السلام وقال: قل له بأن أبا محمد يقول: أنا أشجع وأكرم وأعلم فقال الإمام عليه السلام للرسول: أما الشجاعة فلا ولم تحن الفرصة بعد لتتبين شجاعته أو جبنه، وأما كرمه فهو يأخذ المال من جهة ويصرفه في غير مكانه، وأما العلم فإن أباك علي بن أبي طالب عليه السلام قد أطلق ألف عبد، فهل تستطيع ذكر اسم خمسة منهم، فذهب الرسول وعاد، وقال: يقول بأنك صحفي (أي تأخذ العلم من صحف آبائك)، فقال الإمام: قل نعم، والله إني آخذها من صحف ابراهيم وموسى وعيسى التي ورثتها عن آبائي[3].

سافر الإمام الصادق في بداية العهد العباسي إلى العراق وأقام في الحيرة عدة أيام وذكر المحدث القمي في منتهى الآمال: تم هذا السفر في عهد السفاح، ولكن يتضح من بعض الأدلة بأن هذا السفر قد تم في عهد المنصور، وأن المنصور هو الذي استدعاه إلى العراق؛ فهل التقى الإمام في هذا السفر بأبي حنيفة؟ أم تلاقى معه في المدينة عندما ذهب أبو حنيفة للمدينة؟ يمكن القول بأن أبا حنيفة قد لقي الإمام الصادق عليه السلام أكثر من مرة في العراق والحجاز.

يروي ابن شهرآشوب عن الحسن بن زياد أنه سأل أبا حنيفة ذات يوم:

---

(١) ج٨، ص١٦٩.
(٢) روضة الكافي، ص٣٦٣ ـ ٣٦٤.
(٣) روضة الكافي، ص٣٦٣ ـ ٣٦٤.

من هو أفقه رجل رأيته؟ فقال أبو حنيفة: جعفر بن محمد لما أقدمه المنصور بعث إلي فقال يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيء له من مسائلك الشداد فهيأت له أربعين مسألة ثم بعث إلي أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر فسلمت عليه فأومأ لي فجلست ثم التفت إليه فقال يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه، ثم التفت إلي فقال يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله مسائلك فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعناكم وربما تابعناهم وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخل منها بشيء، ثم قال أبو حنيفة: أليس أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس (الآراء)؟[1] (المراد بهذه العبارة جواب سؤال من سأل أبا حنيفة عن أفقه رجل رآه ومن الرواية التي ذكرها أبو حنيفة يظهر أنه يرى أن الإمام هو الأعلم باختلاف الآراء وبالتالي يكون هو الأعلم برأي أبي حنيفة؛ وهو الحق.م).

عندما كان الإمام الصادق عليه السلام موجوداً في الحيرة كان الناس يتجهون إليه من كل حدب وصوب ولم يكن من السهولة أن يلقاه أصحابه لكثرة من يراجعه[2] وعندما أراد العودة إلى المدينة شيعه مجموعة من أهل العلم والفضل في الكوفة ومنهم سفيان الثوري[3].

وتقدم ذكر أن عدد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام بلغ أربعة آلاف تلميذ، والمقصود من ذلك أن هذا العدد من التلاميذ تناوب على أخذ العلم والفقه عن الإمام، والنهل من ينبوع علمه؛ وليس معناه أنهم جميعاً كانوا يحضرون في آن واحد إليه.

---

(١) المناقب، ج٤، ص٢٥٥.
(٢) المناقب، ج٤، ص٢٣٨.
(٣) المناقب، ج٤، ص٢٤١.

وذكر مؤلف كشف الغمة: روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عدة من التابعين منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني وأبان بن تغلب وأبو عمرو بن العلاء ويزيد بن عبد الله؛ وحدث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وابن جريج وعبيد الله بن عمرو وروح بن القاسم وسفيان بن عيينه وسليمان بن بلال واسماعيل بن جعفر وحاتم بن اسماعيل وعبد العزيز بن المختار ووهب بن خالد وابراهيم بن طهمان[1].

وممن عد في زمرة تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام: جابر بن حيان الكوفي، وقد ذكرت بهذا الشأن أقوال مختلفة، فابن النديم يقول: قال البعض من أهل العلم والكتابة بأن جابر ليس له حقيقة، وقال بعض آخر: ليس له تصنيف وقال آخرون: كان من أهل الكوفة ومن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقالوا بأنه من الفلاسفة، والبعض يقول: بأنه كان يميل إلى جعفر بن يحيى البرمكي وأينما وردت عبارة «سيدي جعفر» فمقصوده جعفر البرمكي. وتعتقد الشيعة بأنّه من تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام[2].

وقال ابن خلكان في ترجمته للإمام الصادق عليه السلام بأن تلميذ الإمام أبي موسى (يعني جعفراً عليه السلام) جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي ألف كتاباً من ألف روقة يتضمن (٥٠٠) رسالة للإمام جعفر عليه السلام[3].

وذكرت كتب عدة بأن جابراً كان تلميذ الإمام الصادق عليه السلام، ومنها تاريخ الحكماء، وقاموس الأعلام، وروضات الجنات، ورياض العلماء؛ وأشارت دائرة المعارف الإسلامية إلى ذلك؛ ومن مجموع ما ذكر وكتب حول

---

(١) كشف الغمة، ج٢، ص١٨٦؛ حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) الفهرست، ص٤٢٠.
(٣) وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩١.

جابر يمكننا أن نفهم بأنه لم يكن رجلاً أسطورياً كما زعم بعضهم، بل كان يعيش في القرن الثاني الهجري وإن لم نستطع إثبات جميع ما نسب إليه من كتب؛ وقد ترجمت بعض كتبه في الكيمياء إلى اللاتينية.

٨

لم يعرف كثير ممَّن عاش في عصر الإمام الباقر عليه السلام وعصر الإمام الصادق عليه السلام حقيقة الزهد، أو أنهم عرفوا ذلك ولكن لجذب أنظار الناس واهتمامهم كانوا يهتمون بظاهر الأمور أكثر من باطنها فيلبسون الخشن من اللباس ويمتنعون عن العمل وينتقدون من يمتنع عن الحذو حذوهم، ومحمد بن المنكدر كان واحداً من أولئك، وهو أحد زهاد زمانه، روي عنه قوله: خرجتُ إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة؛ فلقيت أبا جعفر محمد بن علي وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكىء على غلامين أسودين (أو موليين له)، فقلت في نفسي سبحان الله شيخٌ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، لأَعظَنَّه فدنوتُ منه، فسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام بنهَرٍ وهو يتصابّ عرقاً فقلت أصلحك الله، شيخٌ من أشياخ قريش في هذه الساعة، على هذه الحال في طلب الدنيا لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال (ما كنت تصنع)؟ قال: فخلى عن الغلامين من يده، وقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عز وجل، أكف بها نفسي وعيالي عنك، وعن الناس، وإنما كنت أخاف أن لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله؛ فقلت صدقت، يرحمك الله، أردت أن أعظك فَوَعَظْتَني[1].

---

(١) فروع الكافي، ج٥، ص٧٣، كتاب المعيشة؛ التهذيب، ج٦، ص٣٢٥، كتاب المكاسب، وقد أورد ابن حجر في تهذيب التهذيب فقط الجملة التي في آخر القصة وهي (أردت أن أعظه

ودخل سفيان الثوري على الإمام الصادق عليه السلام يوماً فرآه وعليه جبة خز دكناء (سوداء) وكساء خز، فجعلت أنظر إليه تعجباً، فقال لي (الإمام الصادق عليه السلام):

ـ يا ثوري ما لك تنظر إلينا لعلك تعجب مما ترى؟

ـ فقلت له: يا ابن رسول الله! ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك.

ـ قال: يا ثوري كان دلك زمان اقتار وافتقار (عصر رسول الله صلى الله عليه وآله) وكانوا يعملون على قدر اقتاره وافتقاره وهذا زمان قد أسبل كل شيء عز إليه (يعني زمان وفرة ورخاء) ثم حَسَر ردن جبته، فإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن.

ـ وقال: يا ثوري! لبسنا هذا لله تعالى وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم قد أبديناه[1].

وفي تحف العقول كانت إجابة الإمام لسفيان بهذا الشكل:

اسمع ما أقول وتعلمه فإن أدركك الموت وأنت على السنّة والحق كان فيه صلاح دنياك وآخرتك، فزمان رسول الله كان زمان العسرة والفقر وعندما تقبل الدنيا فالأبرار أحق بها من الفجار، والمؤمنون أحق من المنافقين والمسلمون أحق بها من الكافرين. فماذا تأخذ علي يا سفيان؟ والله إني على هذه الحالة منذ أذكر، فلم يمر علي يوم أو ليلة وفي مالي حق من حقوق الله، كان علي صرفه في مكانه ولم أفعل[2].

ثم أتاه قوم ممن يظهرون التزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف فقالوا: إن صاحبنا (مرادهم سفيان الثوري المذكور

فوعظني) ج٩، ص٣٥٢.

(١) حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٣؛ كشف الغمة، ج٢، ص١٥٧؛ تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٦٧.

(٢) تحف العقول، ص٤٠٢.

آنفاً) حصر عن كلامك ولم تحضره حجة، فقال لهم: هاتوا حججكم. فقالوا: إن حجتنا من كتاب الله، قال لهم: فأدلوا بها فإنها أحق ما اتبع وعمل به. فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فمدح فعلهم، وقال في موضع آخر: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾[2] فنحن نكتفي بهذا؛ فقال رجل من الجلساء: إنا ما رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتى تتمتعوا أنتم بها؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام: دعوا عنكم ما لا نفع به، أخبروني أيها النفر: ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضل وهلك من هلك من هذه الأمة؟ فقالوا: بعضه فأما كله فلا.

فقال عليه السلام لهم: من ههنا أوتيتم وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ وأما ما ذكرتم من إخبار الله إيَّانا في كتابه عن القوم الذين أُخبر عنهم لحسن فعالهم فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله وذلك أن الله جل وتقدّس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم وكان نهى تبارك وتعالى رحمةً للمؤمنين ونظراً لكيلا يضروا بأنفسهم وعيالاتهم، منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفان والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع فإن تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً فمن ثم قال رسول الله ﷺ خمس ثمرات أو خمس أقراص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان وهو يريد أن يمضيها، فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه ثم الثانية على نفسه وعياله ثم الثالثة على القرابة وإخوانه المؤمنين ثم الرابعة على جيرانه الفقراء ثم الخامسة في سبيل الله وهو أحسنها أجراً، وقال النبي ﷺ للأنصاري حيث أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق ولم

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) الإنسان: ٨.

يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين، ترك صبية صغاراً يتكففون الناس، ثم قال حدثني أبي أن النبي ﷺ قال إبدأ بمن تعول ثم الأدنى فالأدنى، ثم هذا ما نطق به الكتاب رداً لقولكم ونهياً عنه مفروض من الله العزيز الحكيم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[1]، أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى عيّر ما تدعون إليه، والمسرفين، فنهاهم عن الإسراف، ونهاكم عن التقتير، لكن أمر بين أمرين، لا يعطي جميع ما عنده، ثم يدعو الله أن يرزقه، فلا يستجيب له، للحديث الذي جاء عن النبي ﷺ: أن أصنافاً من أمتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في البيت ويقول يا رب ارزقني ولا يخرج يطلب الرزق، فيقول الله عزّ وجلّ: عبدي! أَوَلم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة، فتكون قد أَعْذَرْتَ فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري، ولكي لا تكون كلاً على أهلك، فإن شئت رزقتك، وإن شئت قترت عليك، وأنت معذور عندي؛ ورجل رزقه الله مالاً كثيراً، فأنفقه، ثم أقبل يدعو، يا رب! ارزقني، فيقول الله: ألم أرزقك رزقاً واسعاً، أفلا اقتصدت فيه كما أمرتك، ولم تسرف، وقد نهيتك، ورجل يدعو في قطيعة رحم.

فتأدبوا أيها النفر بآداب الله عزّ وجلّ للمؤمنين واقتصروا على أمر الله ونهيه، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به وردوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله تبارك وتعالى وكونوا في طلب علم الناسخ من المنسوخ من القرآن، ومحكمه ومتشابهه، وما أحل الله فيه مما حرم فإنه أقرب لكم من الله وأبعد لكم عن الجهل[2].

---

(١) الفرقان: ٦٧.

(٢) تحف العقول، ص٤٠٤ ـ ٤٠٩.

٩

بدأ العباسيون دعوتهم بالدعوة إلى إحياء سنّة رسول الله ﷺ وإلى «الرضا من آل محمد ﷺ» ومن أجل أن يستقطبوا شيعة آل بيت الرسول ﷺ راحوا يذكّرون الناس بالمظالم التي ارتكبها آل أبي سفيان وآل مروان بحقهم. فهذا شاعر العباسيين سديف يستذكر حادثة كربلاء ومقتل الحسين عليه السلام في مجلس ضمّ جمعاً من كبار بني أمية في أوائل حكومة أبي العباس السفاح في بداية عهد العباسيين قائلاً:

واذكروا مصرع الحسين وزيدٍ وقتيل بجانب المهراس

لكن بعد أن ثبت العباسيون أركان حكمهم ووطدوها ظلموا بني هاشم والناس أكثر وأشنع مما فعله الأمويون بحق بني هاشم، ولكي نعرف عدد الذين استشهدوا من أبناء رسول الله ﷺ في العهد العباسي وخصوصاً في زمن خلافة المنصور علينا أن نلقي نظرة على كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني. وصدق الشاعر الذي قال:

فليت جور بني مروان عاد لنا وليت عدل بني العباس في النار[1]

ونذكر هناك قصة نقلها ابن عبد ربه تبين مدى المظالم التي تحملها المجتمع الإسلامي في السنوات الأولى لحكومة المنصور على أيدي المنصور

(١) الأغاني، ج١٧، ص٣٣٣.

ورجاله: بينما المنصور في الطواف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؛ فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه فصلى الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول، فسلم عليه بالخلافة. فقال المنصور: ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني (أوجعني وآلمني).

فقال: إن أَمّنتَني يا أمير المؤمنين أَعلمتك بالأمور من أصولها، وإلاّ احتجرت منك واقتصرت على نفسي، فلي فيها شاغل.

قال: فأنت آمن على نفسك، فقل.

فقال: يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت.

فقال: فكيف ذلك، ويحك، يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي؟!

قال: وهل دخل أحد من الطمع، ما دخلك؟ إنّ الله استرعاك أمر عباده وأموالهم، فأغفلت أمورهم وأتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحراساً معهم السلاح، ثم سجنت نفسك عنهم فيها، وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع وأمرت ألا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلان وفلان نفراً سمّيتهم ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقيرَ إليك ولا أحد إلاّ وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يُحجَبوا دونك، تجبي الأموال وتجمعها؛ قالوا:

هذا قد خان الله فينا، فما لنا لا نخونه فائتمروا أن لا يصل إليك من

علم أخبار الناس شيء إلاّ ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلاّ خَوّنوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته؛ فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أَعظمهم الناس وهابُوهم وصانعوهم، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليَقْوَوا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك، ذوو المقدرة والثروة من رعيتك، لينالوا ظُلم مَن دونهم فامتلأتْ بلادُ الله بالطمع ظلماً وبغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانك، وأنت غافل، فإنْ جاء مُتظلمٌ حِيلَ بينك وبينه، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك، وجدك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلم، فبلغ بطانتك خبره، سألوا صاحب المظالم، أن لا يرفع مظلمته إليك، فلا يزال المظلوم يختلف إليه، ويلوذ به، ويشكو ويستغيث وهو يدفعه، فإذا أجهد وأخرج ثم ظهر صراخه بين يديك، فيضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره وأنت تنظر وما تنكر، فما بقاء الإسلام على هذا؟

وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرةً وقد أصيب ملكهم بسمعه، فبكى بكاءً شديداً، فحثه جلساؤه على الصبر، فقال:

أما إني لست أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته؛ ثم قال:

أما إذ قد ذهب سمعي، فإن بصري لم يذهب؛ نادُوا في الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم، ثم كان يركب الفيل طرفي النهار، وينظر هل يرى مظلوماً؛ فهذا، يا أمير المؤمنين، مشركٌ بالله بَلَغَت رأفته بالمشركين هذا المبلغ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه، لا تَغلبكَ رَأفتكَ على شُحِّ نفسك، فإن كنت تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبراً في الطفل يسقط من بطن أمه، ما له على الأرض مال، وما من مال إلاّ ودونه يدٌ شحيحة تَحْويه، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست الذي تعطي، بل الله تعالى يُعطي مَن يَشاء ما يشاء، فإن قلت، إنما تجمع المال لتشديد السلطان، فقد أراك الله عبراً في بني أمية، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب، وما أعدوا

من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد؟ وإن قلت، إنما تجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلاّ منزلة، ما تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه؛ يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأشدّ من القتل؟

فقال المنصور: لا؛ فقال: كيف تصنع بالمَلِك الذي حوَّلك مُلك الدنيا، وهو لا يعاقب مَن عصاه بالقتل، ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد رأى ما عَقَدَ عليه قلبك، وعملته جوارحك ونظر إليه بصرك واجترحته يداك ومشت إليه رجلاك، هل يغني عنك ما شححت عليه، من مُلك الدنيا إذا انتزعه مِن يدك ودعاك إلى الحساب؟؟ فبكى المنصور؛ ثم قال: ليتني لم أُخلق، ويحك، كيف أحتال لنفسي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسددوك؛ قال: قد بعثت إليهم، فهربوا مني؛ قال: خافوك أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك وسهِّل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم، وخذ الفيء والصدقات على حِلِّها واقسمه بالحق والعدل على أهلها؛ وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة؛ وجاء المؤذنون فآذنوه بالصلاة، فصلى وعاد إلى مجلسه، وطلب الرجل فلم يوجد[1].

كان المنصور يخشى من تجمع المظلومين والمستضعفين حول الإمام الصادق عليه السلام، فقد شاهد بأم عينه قيام زيد ويحيى في أيام الأمويين وقيام محمد بن عبد الله في زمانه، ولما كان مطلعاً على مدى حب الناس للإمام الصادق عليه السلام ركز كل اهتماماته عليه، وراقبه بحذر، وأرسل عيونه ورجاله متخفين إلى مجلسه.

وكما أشرنا سابقاً فإن بعض شيعة الإمام قد طلبوا منه نفس ما طلبوه من

---

(١) العقد الفريد، ج٣، ص٩٣.

زيد وابنه، ولكن الإمام الصادق عليه السلام لعلمه بعدم ثبات هؤلاء القوم على قولهم وخشيتهم من مواجهة الحكام رأى أنه من المصلحة أن لا يواجههم وسعى للقيام بتربية تلامذته وإعدادهم لينهلوا من علم آل البيت وليقوموا بإيصاله للناس ولهذا كان يأمر أتباعه بمداراة حكامهم.

روى المجلسي في الأمالي عن ابن الشيخ الطوسي بإسناده عن أبي بصير قوله: سمعت من أبي عبد الله أنه يقول: اتقوا الله وعليكم بالطاعة لأئمتكم، قولوا ما يقولون واصمتوا عما صمتوا فإنكم في سلطان من قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾[1] (يعني بمضمون الآية ولد العباس)، فاتقوا الله فإنكم في هدنة، صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وأدوا الأمانة إليهم.

وفي الحقيقة قول الإمام ذلك لتهدئة الأمور ورعاية الأمن ولكنه لم يكن ليقبل كل أمر أو عمل يصدر عن الحكام ورجالهم، فكان الإمام يعترض بشدة ويبين الحقيقة للناس عندما كان يتعرّض هو أو واحد من أسرته لأذى رجال الحكام أو إهانتهم أو إساءتهم الكلام معه.

ذكر المجلسي هذه الرواية: عندما استشهد محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن، ولّى المنصور رجلاً اسمه شيبة بن غفال على المدينة فاعتلى المنبر يوم الجمعة وشرع يقول الأكاذيب والافتراءات بحق أمير المؤمنين عليه السلام، ومن جملة ما قال: فإن علي بن أبي طالب شق عصا المسلمين وحارب المؤمنين وأراد الأمر لنفسه ومنعه أهله فحرمه الله عليه وأماته بغصته، وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر بغير استحقاق له فهم في نواحي الأرض مقتولون وبالدماء مضرجون فعظم هذا الكلام منه على الناس ولم يجسر أحد منهم أن ينطق بحرف فقام إليه رجل عليه إزار قومسي سخين،

---

(١) سورة ابراهيم: ٤٦.

فقال: نحن نحمد الله ونصلي على محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين، ثم قال: أما ما قلت من خير فنحن أهله وما قلت من سوء فأنت وصاحبك أولى به... ثم التفت إلى الناس وقال: ألا أنبئكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامة وأبينهم خسراناً، من باع آخرته بدنيا غيره، وهو هذا الفاسق؛ فسألت (أي سأل الراوي) عن الرجل، فقيل له: هذا جعفر بن محمد[1].

روى الكليني عن جعفر بن محمد بن الأشعث قال: ... كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به، وما كان عندنا منه ذكر، ولا معرفة شيء مما عند الناس... قال إن أبا جعفر (يعني أبا الدوانيق) قال لأبي محمد بن الأشعث: يا محمد ابغ لي رجلاً له عقل يؤدي عني، فقال له أبي: قد أصبته لك، هذا فلان بن مهاجر خالي، قال: فائتني به فأتيته بخالي، فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر، خذ هذا المال، وائت المدينة، وائتِ عبد الله بن الحسن، وعد من أهل بيته، فيهم جعفر بن محمد، فقل لهم إني رجل غريب من أهل خراسان، وبها من شيعتكم وجهوا إليكم بهذا المال، وادفع إلى كل واحد على شرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال، فقل إني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم، فأخذ المال وأتى المدينة، فرجع إلى أبي الدوانيق ومحمد بن الأشعث، وقال له أبو الدوانيق ما وراءك، قال: أتيت القوم، وهذه خطوطهم بقبضهم المال خلا جعفر بن محمد، فإني أتيته وهو يصلي في مسجد الرسول فجلست خلفه، وقلت: حتى ينصرف، فأذكر له ما ذكرت لأصحابه، فعجل وانصرف، ثم التفت إلي، فقال: يا هذا اتق الله، ولا تُغْر أهل بيت محمد ﷺ فإنهم قريب عهد بدولة بني مروان، وكلهم محتاج، فقلت: وما ذاك أصلحك الله؟ فأدنى رأسه مني وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتى كأنه كان ثالثنا، فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر اعلم أنه ليس من

---

(١) بحار، ج٤٧، ص١٦٥.

أهل بيت نبوة إلاّ وفيه محدث، وإن جعفر بن محمد محدثنا اليوم، وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة[1].

يحدثنا ابن شهرآشوب عن مفضل بن عمر قائلاً: همّ المنصور عدة مرات أن يقتل أبا عبد الله وكان كلما دعاه لذلك إذا نظر إليه هابه ولم يقتله، غير أنه منع الناس عنه ومنعه من القعود للناس، واستقصى عليه أشدّ الاستقصاء حتى أنه كان يعرض لأحدهم مسألة في دينه من نكاح أو طلاق أو غير ذلك فلا يكون علم ذلك عندهم ولا يصلون إليه، فيعتزل الرجل وأهله فشق ذلك على شيعته وصعب عليهم حتى ألقى الله عز وجل في روع المنصور أن يسأل الصادق عليه السلام أن يتحفه بشيء من عنده لا يكون لأحد مثله، فبعث الإمام إليه بمخصرة (عصا) كانت للنبي صلى الله عليه وآله طولها ذراع ففرح بها فرحاً شديداً وأمر بأن تقطع إلى أربعة أرباع وقسمها في أربعة مواضع ثم قال له: ما جزاؤك عندي إلاّ أن أطلق لك تفشي علمك لشيعتك، ولا أتعرض لك ولا لهم فاقعد غير محتشم وأفت الناس ولا تكن في بلد أنا فيه[2].

فلو كانت القصة فعلاً كما ذكر المفضل فإن هدف المنصور هو أن يظهر ويوضح للشيعة بأن قدرته وسلطته قد وصلت لدرجة من القوة والعظمة أن إمامهم نفسه يقدم له الهدايا ولا يوجد أي نزاع أو اختلاف بينهما.

لم يتوان المنصور عن إيذاء الإمام الصادق عليه السلام مع علمه الكامل بأن الإمام لا نية لديه بالقيام ضده، فقد أمر المنصور واليه في الحرمين (مكة والمدينة) حسن بن زيد أن أحرق على جعفر بن محمد عليه السلام داره؛ فألقى النار في دار أبي عبد الله، فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٧٥.
(٢) المناقب، ج٤، ص٢٣٨.

عبد الله عليه السلام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول: (أنا ابن أعراق الثرى) أنا ابن ابراهيم خليل الله[1].

ويروى عن الفضل بن الربيع أن المنصور حج عام ١٤٧ للهجرة فقدم المدينة وقال للربيع: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به، قتلني الله إن لم أقتله، فتغافل الربيع لينساه، ثم أعاد ذكره للربيع وقال: ابعث من يأتينا به متعباً، فتغافل عنه، ثم أرسل إلى الربيع رسالة قبيحة أغلظ له فيها وأمره أن يبعث من يحضر جعفراً، ففعل، فلما أتاه، قال له الربيع: يا أبا عبد الله اذكر الله فإنه قد أرسل إليك بما لا دافع له غير الله، فقال جعفر: «لا حول ولا قوة إلاّ بالله»، ثم إن الربيع أعلم المنصور بحضوره، فلما دخل جعفر أوعده وأغلظ له وقال: أي عدو الله! اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك، فقال أبو عبد الله: والله ما فعلت ولا أردت فإن كان بلغك فمن كاذب، وإن كنت فعلت، فقد ظُلم يوسف فغفر، وابتلي أيوب فصبر، وأعطي سليمان فشكر، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك.

فقال له المنصور: أجل ارتفع ههنا، فارتفع، فقال: إن فلان بن فلان أخبرني عنك أنك بما ذكرت، فقال أحضروه ليوافقني على ذلك، فأحضر الرجل المذكور، فقال له المنصور: أنت سمعت ما حكيت عن جعفر؟

ـ نعم.

فقال الإمام عليه السلام: فاستحلفه على ذلك، فقال له المنصور: أتحلف؟ قال: نعم وابتدأ باليمين.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: دعني أحلِّفه أنا، فقال له: افعل، فقال الإمام للساعي: قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٧٣.

فعل كذا وكذا جعفر، وقال كذا وكذا جعفر، فامتنع هنيهة ثم حلف بها، فما برح حتى ضرب برجله فقال أبو جعفر (المنصور) جزءه برجله، لعنه الله[1].

ورد في بعض المصادر أن المنصور أكرم الإمام، وأعطى الربيع جائزة ليسلمها للإمام عليه السلام.

ونقل الزبير بن بكّار هذه الحادثة مع ذكر مقدمة لها بأن ابن الربيع قال: قدم المنصور إلى المدينة فتجمع البعض حوله، وقالوا: إن جعفر بن محمد لا يجيز الصلاة بإمامتك ويغتابك ويقول بأنه لا يجوز أن نسلم عليك بإمرة المؤمنين (بعبارة: السلام عليك يا أمير المؤمنين).

فقال المنصور: كيف أتيقن من صدق كلامكم؟ فقالوا: صار لك ثلاثة أيام في المدينة ولم يأت لرؤيتك حتى الآن فقال المنصور: هذا يمكن أن يكون دليلاً، وأمر الربيع في اليوم الرابع أن يحضر جعفر بن محمد؛ وقال قتلني الله إن لم أقتله...[2].

---

(١) الإرشاد، ج٢، ص١٧٧؛ صفة الصفوة، ج٢، ص١٧١ ـ ١٧٣؛ روضة الواعظين، ج١، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ إعلام الورى، ص٢٧٨؛ الصواعق المحرقة، ص٢٠٢؛ إثبات الوصية، ص١٠٧؛ العقد الفريد، ج٣، ص١٠٩.

(٢) الأخبار الموفقيات، ص١٤٩ ـ ١٥٠.

١٠

ورد في أصول الكافي والإرشاد للشيخ المفيد وكشف الغمة وبعض الكتب الأخرى كلمات «مضى» و«مات» و«قبض» التي عبر من خلالها عن وفاة الإمام الصادق عليه السلام وعلى الظاهر فإن هذه الألفاظ تدل على أن موت الإمام كان طبيعياً ولكن في الفصول المهمة ومصباح الكفعمي (نقلاً عن المجلسي في البحار) وكتب أخرى ذكر بأن الإمام مات مسموماً[١]. فذكر ابن شهرآشوب في المناقب: وضع أبو جعفر المنصور السم في طعام الإمام[٢]، وهذا ليس ببعيد بسبب الكره الذي كان المنصور يكّنه للإمام والخوف من تجمع الناس حوله وقيامه ضده فلم يكن يهدأ له بال.

والمطلعون على تاريخ حياة هذا الرجل يعرفون تماماً بأنه لم يرحم حتى الذين بذلوا قصارى جهدهم لإيصاله إلى الخلافة، ومنهم أبو مسلم، فقيام حكومة العباسيين كانت رهناً لما تحمله من مشاق وعناء. والذنب الذي ارتكبه أبو مسلم كما يتضح من كتب التاريخ بأنه في زمن خلافة السفاح لم يكن يقوم بالاحترام والتعظيم الواجب للمنصور ومن الطبيعي أن يتضايق المنصور من رجل يخافه ويكن له الناس احتراماً ومحبة خاصة؛ وأن لا يتحمله؛ ولكن وكما سنرى فإنه في الظاهر يتأسف ويتحسر على موت هذا الإمام العظيم.

---

(١) بحار، ج٤٧، ص١ ـ ٢.

(٢) المناقب، ج٤، ص٢٨٠.

يروي الكليني عن أبي أيوب النحوي قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب؛ قال: فلما سلمت عليه رمى إلي بالكتاب وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات فـ«إنا لله وإنا إليه راجعون» ثلاثاً وأين مثل جعفر؛ ثم قال لي: اكتب، قال: فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: إن كان قد أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه، قال فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خمسة وهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان، وعبد الله، وموسى عليه السلام وحميدة؛ وفي رواية أخرى بدلاً من محمد بن سليمان، محمد بن جعفر وبدلاً من حميدة مولى من موالي أبي عبد الله، فقال المنصور: لا نستطيع أن نقتل هؤلاء[1].

ويروي اليعقوبي عن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس قائلاً دخلت على المنصور فرأيت لحيته مبتلة بدموعه؛ فسألت عن السبب، فقال: ألا تدري ماذا حل بأهلك.

ـ ماذا حدث يا أمير المؤمنين؟

ـ قال فإن سيدهم وعالمهم بقية الأخيار فيهم توفي.

ـ من هو يا أمير المؤمنين؟

ـ جعفر بن محمد!

ـ عظّم الله أجر أمير المؤمنين وأطال لنا بقاءه.

ـ إن جعفراً كان من الذين قال الله فيهم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]، وكان ممن اصطفى الله وكان من السباقين بالخيرات[3].

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٣١.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١١٧.

وروى ابن فضال: ذهبت إلى أم حميدة لأعزيها بوفاة الإمام الصادق عليه السلام، فبكت وبكيت لبكائها ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه، ثم قال: اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة قالت فلم نترك أحداً إلاّ جمعناه قالت: فنظر إليهم ثم قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة[1].

وروى الكليني عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: أنا كفنت أبي في ثوبين شطويين[2] كان يحرم فيهما وفي قميص من قمصه، وفي عمامة كانت لعلي بن الحسين عليه السلام وفي برد اشتراه بـ ٤٠ ديناراً[3].

وذكر أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: دخلت على الإمام الصادق وابنه موسى بن جعفر بين يديه، وهو يوصيه ومما حفظت من هذه الوصية أنه قال لابنه موسى عليه السلام:

يا بني! احفظ وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً، يا بني! إنه من قنع بما قسم له استغنى، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له فقد اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره.

يا بني! من كشف حجاب غيره انكشفت عورات نفسه، ومن استل سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يا بني! قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال؛ يا بني! إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه[4].

---

(١) ثواب الأعمال، ص٢٠٥؛ بحار الأنوار، ج٤٧، ص٢.
(٢) نسبة إلى قرية في مصر تنسج فيها هذه الأقمشة.
(٣) أصول الكافي، ج١، ص٤٧٦.
(٤) حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٥؛ صفوة الصفوة، ج٢، ص١٧٠.

١١

«إن من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار والتوسع وإنصاف الناس وابتداءه إياهم بالسلام».

الإمام الصادق عليه السلام[١]

«بالخلق واللطافة يتقرب إلى أهل القرب».

حافظ[٢]

ذكر العطار في تذكرة الأولياء حواراً بين داوود الطائي والإمام الصادق عليه السلام (يكنى داوود بأبي سليمان وهو من كبار الشيوخ والزهاد والعباد في القرن الثاني الهجري)، يقول العطار: ينقل أن داوود الطائي دخل على الإمام الصادق عليه السلام وقال: انصحني يابن رسول الله فقد اسودّ قلبي.

فقال الإمام: إنك زاهد زمانك يا أبا سليمان فما هي حاجتك لنصيحتي؟

فقال: يابن رسول الله إنك ذو فضل على جميع الخلائق ونصيحتهم واجبة عليك.

---

(١) تحف العقول، ص٣٢٣.

(٢) مضمون مصراع من شعر الشاعر المشهور حافظ الشيرازي والمصراع بالفارسية (به خلق ولطف توان كرد صيد أهل نظر).

قال الإمام: أخشى أن يلومني جدي يوم الساعة، فيقول لماذا تركت حق متابعتي. إن هذا العمل صحيح نقلاً، وليس بقوي سنداً، فهذا العمل يليق بالحق سبحانه وتعالى. بكى داوود وقال: يا إلهي إن من طينته معجونة بماء النبوة، وطينته مركبة من البرهان والحجة، وجده رسول الله، وأمه البتول، هكذا، فمن هو داوود ليعجب بأعماله؟

إن صحت نسبة الحوار للإمام كما نقله العطار، فجواب الإمام كان تنبيهياً للزهاد لكي لا يغرهم عملهم وليسعوا وليجاهدوا لكي تكون أعمالهم أكثر خلوصاً لله.

روي أن رجلاً من الحاج نام في المدينة فتوهم أن هميانه (كيسه) قد سرق؛ فخرج فرأى جعفر الصادق مصلياً، ولم يعرفه، فتعلق به وقال له: أنت أخذت هميانى، فقال الإمام عليه السلام ما كان فيه؟

ـ ألف دينار.

فحمله الإمام إلى داره، وأعطاه ألف دينار، وعندما عاد الرجل إلى منزله وجد كيسه هناك، فعاد إلى الإمام ـ معتذراً ـ بالمال فأبى قبوله وقال عليه السلام: شيء خرج من يدي لا يعود إلي. فسأل الرجل عنه فقيل هذا: جعفر بن محمد الصادق، فقال: لا جرم هذا فعال مثله[1].

يروي الكليني بإسناده عن علاء بن كامل قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله، فصرخت صارخة في الدار، فقام أبو عبد الله عليه السلام ثم جلس، فاسترجع قال «إنا لله وإنا إليه راجعون» وعاد في حديثه حتى فرغ منه، ثم قال: إنا لَنُحِب أن نُعافى في أنفسنا وأولادنا وأموالنا فإذا وقع القضاء فليس لنا أن نحب ما لم يحب الله لنا[2].

---

(١) المناقب، ج٤، ص٢٧٤.

(٢) فروع الكافي، ج٣، ص٢٢٦.

يقول سفيان الثوري: ذهبت يوماً إلى الإمام الصادق عليه السلام فرأيته متغير اللون فسألته عن السبب فقال: كنت نهيت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلت فإذا جارية من جواري ممن تربي بعض ولدي صعدت في سلم والصبي معها فلما بصرت بي ارتعدت وتحيرت وسقط الصبي إلى الأرض فمات، فما تغير لوني لموت الصبي وإنما تغير لوني لما أدخلت عليها من الرعب وكان عليه السلام قال لها مرتين أنت حرة لوجه الله[1].

يروي المجلسي بإسناده عن الوليد بن صبيح: كنا جالسين عند أبي عبد الله عليه السلام في ليلة إذ يطرق الباب طارق، فقال الإمام للجارية: انظري من هذا، فخرجت ثم دخلت فقالت، هذا عمك عبد الله بن علي فقال الإمام: أدخليه وقال لنا ادخلوا البيت، فلما دخل أقبل على أبي عبد الله عليه السلام، ولم يدع شيئاً من القبيح إلاّ قاله في أبي عبد الله عليه السلام، ثم خرج، وخرجنا فأقبل الإمام يحدثنا من الموضع الذي قطع كلامه، فقال بعضنا: لقد استقبلك هذا بشيء ما ظننا أن أحداً يستقبل به أحداً حتى لقد هم بعضنا أن يخرج إليه فيوقع به فقال الإمام: مه! لا تدخلوا فيما بيننا، فلما مضى من الليل ما مضى، طرق الباب طارق، فقال الإمام للجارية انظري من هذا، فخرجت ثم عادت، فقالت: هذا عمك عبد الله بن علي، فقال الإمام لنا: عودوا إلى مواضعكم، ثم أذن له فدخل عبد الله بشهيق ونحيب وبكاء وهو يقول: يا ابن أخي! اغفر لي، غفر الله لك، اصفح عني، صفح الله عنك! فقال الإمام: غفر الله لك يا عم، ما الذي أحوجك إلى هذا؟

قال: إني لما أويت إلى فراشي أتاني رجلان أسودان، فشدّا وثاقي، ثم قال أحدهما للآخر: انطلق به إلى النار فانطلق بي، فمررت برسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله لا أعود، فأمره فخلى عني، وإني لأجد ألم الوثاق،

---

(١) المناقب، ج٤، ص٢٧٥.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أوص قال: بما أوصي، ما لي مال، وإنَّ لي عيالاً كثيرة وعليَّ دين، فقال أبو عبد الله عليه السلام: دينك علي، وعيالك إلى عيالي؛ فأوصى؛ فما خرجنا من المدينة حتى مات، وضمّ الإمام الصادق عليه السلام عياله إليه، وزوّج ابنه ابنته[1].

أرسل الإمام غلامه يوماً في حاجة له ولما تأخر غلامه في العودة، ذهب بنفسه فرآه نائماً، فجلس بجانبه يروحه حتى انتبه فلما استيقظ، قال له: يا فلان والله ما ذاك لك تنام في الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار[2].

كان الإمام الصادق عليه السلام ينفق الكثير في سبيل الله على شاكلة آبائه العظام وقد كتبوا في إنفاقه: كان جعفر يطعم المساكين حتى لا يبقي شيئاً لأفراد عائلته، وكان يقول: «لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيره وستره»[3].

وكما كان زهده مخفياً فإنفاقه كان كذلك أيضاً وأولئك الذين كان يعطيهم لم يعرفوا أن الإمام الصادق هو الذي أعطاهم.

يقول أبو جعفر الخثعمي: أعطاني الإمام الصادق صرة فقال لي: ادفعها إلى رجل من بني هاشم ولا تعلمه أني أعطيتك شيئاً، قال الرجل: فأتيته قال جزاه الله خيراً ما يزال كل حين يبعث به فنعيش به إلى قابل، ولكن لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله[4].

وكان يعطي أحياناً أعداءً له أرادوا به سوءاً. روى الشيخ الطوسي عن سالمة أمة الإمام الصادق عليه السلام: حين حضرته الوفاة وأغمي عليه فلما أفاق

---

(١) البحار، ج٤٧، ص٩٦. من الخرائج والجرائح.
(٢) المناقب، ج٤، ص٢٧٤.
(٣) حلية الأولياء، ج٣، ص٩٤.
(٤) المناقب، ج٤، ص٢٧٣.

قال: أعطوا الحسن بن علي بن علي بن الحسين وهو الأفطس سبعين ديناراً، وأعطوا فلاناً كذا، وفلاناً كذا، فقلت له: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة، يريد أن يقتلك، فقال: تريد أن لا أكون من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾[1] نعم، يا سالمة إن الله خلق الجنة فطيبها وطيب ريحها، وإن ريحها يوجد من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم[2].

يقول المعلي بن خنيس: أراد أبو عبد الله أن يذهب في ليلة ممطرة إلى سقيفة بني ساعدة فذهبت خلفه، فسقط منه فجأة شيء، فقال: بسم الله، اللهم رده علينا! تقدمت وسلمت عليه، فقال: معلى؟ فقلت: نعم جعلت فداك! فقال التمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه إلي.

قال: فإذا أنا بخبز منتشر، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فإذا أنا بجراب، فقلت: جعلت فداك إحمله عليّ عَنك؟ فقال: لا! أنا أولى به منك، ولكن امض معي، قال: فأتينا ظلة بني ساعدة، فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يَدس الرغيف والرغيفين تحت ثوب كل واحد منهم، حتى أتى على آخرهم، ثم انصرفنا، فقلت: جعلت فداك، يعرف هؤلاء الحق؟ فقال: لو عَرفوا لواسيناهم بالدقة (الملح)[3].

ويروي الكليني بإسناده عن هارون بن عيسى: قال أبو عبد الله لمحمد ابنه: يا بني كم فضل معك من تلك النفقة؟ قال: أربعون ديناراً، قال عليه السلام اخرج فتصدق بها، قال: إنه لم يبق معي غيرها، قال عليه السلام تصدق بها فإن الله عزّ وجل يخلفها أما علمت أن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الرزق الصدقة، فتصدق بها، ففعل، فما لبث أبو عبد الله عليه السلام حتى جاءه من موضع أربعة

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي، ص١٢٨؛ بحار الأنوار، ج٤٧، ص٢٠٣.
(٢) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ص١٢٨؛ بحار، ج٤٧، ص٢ ـ ٣.
(٣) بحار، ج٤٧، ص٢١ عن ثواب الأعمال.

آلاف دينار، فقال يا بني أعطينا لله أربعين ديناراً فأعطانا الله أربعة آلاف دينار[1].

روي عن الفضل بن قرة قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يبسط رداءه وفيه صُرر الدنانير فيقول للرسول: اذهب بها إلى فلان من أهل بيته وقل لهم هذه بُعث بها إليكم من العراق؛ قال: فيذهب بها الرسول إليهم، فيقول ما قال، فيقولون: أما أنت فجزاك الله خيراً بصلتك قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما جعفر فحكم الله بيننا وبينه. قال فيخر أبو عبد الله ساجداً ويقول: اللهم أَذِل رقبتي لِولْدِ أبي[2].

يروي الكليني عن أبي بصير قال: كان لي جار (يتبع السلطان) فأصاب مالاً فأعد قياناً وكان يجمع الجميع إليه ويشرب المسكر ويؤذيني فشكوته إلى نفسه غير مرة فلم ينته، فلما أن ألححت عليه، قال: يا هذا أنا رجل مبتلى وأنت رجل معافى فلو عرضتني لصاحبك (يعني الإمام الصادق عليه السلام) رجوت أن ينقذني الله بك، فوقع ذلك له في قلبي، فلما صرت إلى أبي عبد الله عليه السلام ذكرت له حاله فقال (الإمام): إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك (الرجل)، فقل له: يقول لك جعفر بن محمد دع عنك ما أنت عليه، وأضمن لك على الله الجنة، فلما رجعت إلى الكوفة، أتاني فيمن أتى، فاحتبسته عندي حتى خلا منزلي، ثم قلت له: يا هذا إني ذكرتك لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك، فقل له: يقول لك جعفر بن محمد دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنّة، قال فبكى ثم قال لي بالله لقد قال لك أبو عبد الله هذا؟ قال (الراوي): فحلفت له أنه قد قال لي ما قلته، فقال: حسبك ومضى، فلما كان بعد أيام بعث إلي فدعاني وإذا هو خلف داره عريان، فقال لي: يا أبا بصير والله ما بقي في

---

(١) فروع الكافي، ج٤، ص٩، كتاب الزكاة.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٧، ص٦٠ عن تنبيه الخاطر.

منزلي شيء إلاّ وقد أخرجته، وأنا كما ترى، قال: فمضيت إلى إخواننا فجمعت له ما كسوته به، ثم لم تأت عليه أيام يسيرة حتى بعث إلي أني عليل فأتني، فجعلت اختلف إليه وأعالجه، حتى نزل به الموت فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه، فغشي عليه غشية، ثم أفاق فقال لي: قد وفى صاحبك لنا، ثم قبض رحمة الله عليه، فلما حججت أتيت أبا عبد الله، فاستأذنت عليه فلما دخلت، قال لي ابتداءً من داخل البيت وإحدى رجلي في الصحن والأخرى في دهليز داره: يا أبا بصير قد وفينا لصاحبك[1].

وروي عن ابن أبي يعقوب أنه قال رأيت عند أبي عبد الله ضيفاً فقام يوماً في بعض الحوائج فنهاه الإمام عن ذلك، وقام بنفسه إلى تلك الحاجة، وقال: نهى رسول الله ﷺ عن أن يستخدم الضيف[2].

وروى يعقوب السراج فقال كنا نمشي مع أبي عبد الله وهو يريد أن يعزي ذا قرابة له بمولود له فانقطع شسع نعل أبي عبد الله، فتناول نعله من رجله ثم مشى حافياً، فنظر إليه ابن أبي يعفور فخلع نعل نفسه من رجله، وخلع الشسع منها، وناوله أبا عبد الله فأعرض عنه كهيئة المغضب، ثم أبى أن يقبله، ثم قال: ألا إن صاحب المصيبة أولى بالصبر عليها، فمشى حافياً حتى دخل على الرجل الذي أتاه ليعزيه[3].

وورد في عيون أخبار الرضا: عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: نعيَ إلى الصادق ابنه اسماعيل بن جعفر وهو أكبر ولده، وهو يريد أن يأكل، وقد اجتمع ندماؤه، فتبسم، ثم دعا بطعامه، وقعد مع ندمائه وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام، ويحث ندماءه ويضع بين أيديهم، ويعجبون منه أن لا يروا أثراً، فلما فرغ، قالوا: يابن رسول الله لقد رأينا منك عجباً، أصبت بمثل

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٧٤.
(٢) فروع الكافي، ج٦، ص٢٨٣.
(٣) فروع الكافي، ج٦، ص٤٦٤.

هذا الابن، وأنت كما نرى؟ قال عليه السلام: وما لي لا أكون كما ترون، وقد جاءني خبر أصدق الصادقين أني ميت وإياكم[1]، إن قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم لم ينكروا مَن تَخطّفَه الموتُ منهم، وسلموا لأمر خالقهم عز وجل[2].

كنا في المدينة عندما قتل داوود بن علي المعلى بن خنيس فجلس أبو عبد الله عليه السلام فلم يأته شهراً، فأرسل إليه داوود بن علي أن ائتني فأبى أن يأتي إليه، فأرسل داوود خمسة من حرسه فقال لهم: ائتوني به فإن أبى، فائتوني به أو برأسه.

دخل الحراس وكان الإمام الصادق عليه السلام يصلي الظهر، ونحن نصلي معه الزوال، فقالوا: أجب داوود بن علي.

ـ فإن لم أجب؟

ـ أمرنا أن نأتيه برأسك.

ـ ما أظنكم تقتلون ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

ـ لا ندري ما تقول وما نعرف إلاّ الطاعة.

ـ انصرفوا فإنه خير لكم في دنياكم وآخرتكم.

ـ والله لا ننصرف حتى نذهب بك معنا أو نذهب برأسك.

فلما علم أنهم لا يذهبون إلا بذهاب رأسه رفع يديه بالدعاء، وسمعته يقول: الساعة الساعة، فسمعنا صراخاً عالياً، فقال الإمام الصادق للحرس: أما إن صاحبكم قد مات وهذا الصراخ عليه..[3].

---

(١) إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴿٣٠﴾﴾ الزمر: ٣٠.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج٢ ص٢؛ بحار، ج٤٧، ص١٨.
(٣) البحار، ج٤٧، ص٦٦ من بصائر الدرجات.

يروى عن الحسين بن موسى: ذهبت أنا وجميل بن دراج وعائذ الأحمسي إلى الحج، وكان عائذ يقول: إن لي حاجة إلى أبي عبد الله وأريد أن أسأله عنها قال فدخلنا عليه فلما جلسنا، قال عليه السلام لنا مبتدئاً: من أتى الله بما افترض عليه لم يسأله عما سوى ذلك، قال فغمزنا عائذ، فلما قمنا قلنا له: ما حاجتك؟ قال: الذي سمعنا منه لا أطيق القيام بالليل فخفت أن أكون مأثوماً مأخوذاً به فأهلك[1].

وفي رسالة كتبها إلى أحد أصحابه جاء فيها ما يلي:

أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله، فإن الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب، ويرزقه من حيث لا يحتسب، فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه، فإن الله عز وجل لا يخدع عن جنته ولا ينال ما عنده إلا بطاعته[2].

---

(١) بصائر الدرجات، الباب العاشر، ص٦٤؛ البحار، ج٤٧، ص٧٠.

(٢) روضة الكافي، ص٤٩.

١٢

الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وما عال من اقتصد، والتدبير نصف العيش، والتودد نصف العقل، وقلة العيال أحد اليسارين، ومن أحزن والديه فقد عقّهُما، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبة فقد حَبِطَ أجره، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب ودين، والله تعالى منزل الصبر على قدر المصيبة، ومنزل الرزق على قدر المؤنة، ومن قَدّر معيشته رَزَقَه الله تعالى، ومَن بَذّر مَعيشَتَه حَرَمَه الله تعالى.

(حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٤ ـ ١٩٥)

من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره.

وقيل له: ما المروءة؟

فقال عليه السلام: لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك من حيث أمرك.

أشكر من أنعم عليك، وأنعم من شكرك، فإنه لا إزالة لنعم إذا شكرت، ولا إقامة لها إذا كفرت، والشكر زيادة من النعم، وأمان من الفقر.

(تحف العقول، ص٤١٤ ـ ٤١٦)

سأله رجل أن يعلمه ما ينال به خير الدنيا والآخرة ولا يطول عليه فقال عليه السلام: لا تكذب.

اتق الله بعض التقى وإن قل، ودع بينك وبينه ستراً وإن رق.

ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال:

١ ـ وقور عند الهزاهز.

٢ ـ صبور عند البلاء.

٣ ـ شكور عند الرخاء.

٤ ـ قانع بما رزقه الله.

٥ ـ لا يظلم الأعداء.

٦ ـ ولا يتحمل الأصدقاء.

٧ ـ بدنه منه في تعب.

٨ ـ والناس منه في راحة.

لا تكلم بما لا يعنيك ودع كثيراً من الكلام فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً، فربَّ متكلم تكلم بالحق بما يعنيه في غير موضعه فتعب، ولا تُمارِيَنَّ سفيهاً، ولا حليماً فإن الحليم يغلبك، والسفيه يرديك، واذكر أخاك إذا تغيب بأحسن ما تحب أن يذكرك به إذا تغيبت عنه، فإن هذا هو العمل، واعمل عمل من يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام.

(تحف العقول، ص٣٤٣)

سئل جعفر بن محمد: لم حرّم الله الربا؟

قال: لئلاً يتمانع الناس المعروف.

(حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٤)

يذكر يحيى بن فرات أن جعفر بن محمد عليه السلام قال لسفيان الثوري: لا يتم المعروف إلاّ بثلاثة: تعجيله وتصغيره وستره.

(صفة الصفوة، ج٢، ص١٦٩؛ حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٨)

إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد

والشكر فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾.

يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيرك فأكثر من حول ولا قوة إلاّ بالله فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

(حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٣؛ كشف الغمة، ج٢، ص١٥٦)

حسن الجوار عمارة للدار وصدقة السر مثراة للمال.

(عيون الأخبار، ج٣، ص٢٣)

إن الحاجة تعرض للرجل قبلي فأبادر بقضائها مخافة أن يستغني عنها أو تأتيه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع.

(عيون الأخبار، ج٣، ص١٧٥)

أحسنوا النظر فيما لا يسعكم جهله، وانصحوا لأنفسكم، وجاهدوها في طلب ما لا عذر لكم في جهله، فإن لدين الله أركاناً لا تنفع من جهلها شدة اجتهاده في طلب ظاهر عبادته، ولا يضر من عرفها فدان بها حسن اقتصاده، ولا سبيل لأحد إلى ذلك إلاّ بعون من الله عز وجل.

(الإرشاد، ج٢، ص١٩٧ ـ ١٩٨؛ كشف الغمة، ج٢، ص١٧٨)

الفقهاء أمناء الرسل فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فاتَّهموهم.

(حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٦)

قال رسول الله ﷺ: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال ﷺ: إتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم.

(أصول الكافي، ج١، ص٤٦؛ بحار، ج٢، ص٤٩)

ثلاثة يجب لهم الرحمة: غني افتقر، وعزيز قوم ذل، وعالم تتلاعب به الجهال.

وقد روي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ أيضاً.

(تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١١٥؛ الخصال، ج١، ص٩٨؛ بحار، ج٧١، ص٤٠٥، عن قرب الاسناد مع اختلاف يسير في الألفاظ؛ بحار، ج٢، ص٤٤، عن الدرة الباهرة)

إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق.

(كشف الغمة، ج٢، ص١٨٦؛ حلية الأولياء، ج٣، ص١٩٨، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٦٧)

وجدت علم الناس كلهم في أربع:

الأول، أن تعرف ربك؛

والثاني، أن تعرف ما صنع بك؛

والثالث، أن تعرف ما أراد منك؛

والرابع، أن تعرف ما يخرجك عن دينك.

(الإرشاد، ج٢، ص١٩٦؛ كشف الغمة، ج٢، ص١٧٧)

إن الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه.

(الإرشاد، ج٢، ص١٩٦؛ كشف الغمة، ج٢، ص١٧٨)

اللهم اعمرني بطاعتك ولا تخزني بمعصيتك، اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقك بما وسعت عليَّ من فضلك.

(كشف الغمة، ج٢، ص١٨٥)

لا زاد أفضل من التقوى، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب.

(كشف الغمة، ج٢، ص١٨٥؛ حلية الأولياء، ج٣، ص٩٦)

ما كل من نوى شيئاً قدر عليه، ولا كل من قدر على شيء وفق له، ولا كل من وفق أصاب له موضعاً، فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والإصابة فهنالك تمت السعادة.

(الإرشاد، ج٢، ص١٩٧؛ كشف الغمة، ج٢، ص١٧٨)

المعروف ابتداءً وأما من أعطيته بعد المسألة فإنما كافيته بما بذل لك من وجهه، يبيت ليلته أرقاً متململاً يمثل بين الرجاء واليأس لا يدري أين يتوجه لحاجته، ثم يعزم بالقصد لها فيأتيك وقلبه يرجف وفرائصه ترعد، قد ترى دمه في وجهه لا يدري أيرجع بكآبة أم بفرح.

(فروع الكافي، ج٤، ص٢٣)

إن أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم عمل بغيره.

(أصول الكافي، ج٢، ص٢٩٩؛ المحاسن للبرقي، ص١٢)

إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب، كما يزل المطر عن الصفا.

(أصول الكافي، ج١، ص٤٤)

لا تخالطن من الناس خمسة:

١ ـ الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

٢ ـ والكذاب فإن كلامه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد منك القريب.

٣ ـ والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو شربة.

٤ ـ والبخيل فإنه يخذلك أحوج ماتكون إليه.

٥ ـ والجبان فإنه يسلمك ويتسلم الدية.

(تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١٦٦)

وهذه الفقرة يمكن رؤيتها في أحاديث الأئمة حيث وردت عن أمير المؤمنين عليه السلام في الكلمات القصار بالرقم ٣٨، وفي عهده إلى مالك الأشتر، وفي أحاديث الإمام السجاد عليه السلام أيضاً.

ومن أخرجه الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بغير مال، وأعزه الله بغير عشيرة، ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل، ومن لم يستح من طلب الحلال خفت مؤونته، ونعم أهله، ومن زهد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، فأطلق لسانه من أمور الدنيا دائها ودوائها، وأخرجه منها سالماً.

(تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١١٥)

ما أنعم الله على عبد نعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه إلاّ أعطي خيراً مما أخذ.

(تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١١٦)

فعل المعروف يمنع ميتة السوء، والصدقة تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وتنفي الفقر، وقول «لا حول ولا قوة إلاّ بالله» كنز من كنوز الجنة.

(تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١١٦)

خصلتان من لزمهما دخل الجنة؛ فقيل: وما هما؟

قال: احتمال ما تكره إذا أحبه الله، وترك ما تحب إذا كرهه الله؛

فقيل: له: من يطيق ذلك؟

فقال: من هرب من النار إلى الجنة.

(تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١٦٦)

إنما يُؤمر بالمعروف، ويُنهى عن المنكر مؤمن فيتعظ، أو جاهل فيتعلم. فأما صاحب سوط وسيف فلا.

(تحف العقول، ص٤١٦)

ثلاثٌ من كُنّ فيه استكمل الإيمان:

١ ــ من إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق.

٢ ــ وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل.

٣ ــ ومن إذا قَدِر عفا.

(تحف العقول، ص٣٧٦)

ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن ينساهن على كل حال:

١ ــ فناء الدنيا.

٢ ــ وتصرف الأحوال.

٣ ــ والآفات التي لا أمان لها.

(تحف العقول، ص٣٧٦)

وفي وصيته إلى عبد الله بن جندب:

«لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور فما يقصد إلاّ أولياءنا، ولقد جَلّت الآخرة في أعينهم حتى ما يريدون بها بدلاً، ثم قال: آهٍ، آه على قلوبٍ حُشيت نوراً، وإنما كانت الدنيا عندهم بمنزلة الشجاع الأرقم والعدو الأعجم، آنسوا بالله واستوحشوا مما به استأنس المترفون، أولئك أوليائي حقاً، وبهم تكشف كل فتنة، وتُرفع كل بلية.

يا بن جندب:

حق على كل مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كل يوم وليلة على نفسه، فيكون محاسب نفسه فإن رأى حسنة استزاد منها، وإن رأى سيئة استغفر منها، لئلا يخزى يوم القيامة طوبى لعبد لم يغبط الخاطئين على ما أوتوا من نعيم الدنيا زهرتها؛ طوبى لعبد طلب الآخرة وسعى لها؛ طوبى لمن لم تلهه الأماني الكاذبة.

ثم قال عليه السلام: رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً؛ كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم.

(تحف العقول، ص٣٧٦)

١٣

نقلوا عن الإمام الصادق عليه السلام في كتب عديدة أشعاراً مضمونها الحكمة والموعظة وإرشاد الناس لمعرفة حقيقة الناس وعدم التفريط به بسهولة، وتتضمن أيضاً الشكوى من أولئك المرائين والمنافقين على مر التاريخ، كانوا وما زالوا وجهين ولسانين.

قال سفيان الثوري للإمام يوماً: قد اعتزلت الناس يابن رسول الله؟ فقال: لقد تغير الزمان وفسد الأخوان مع بعضهم البعض، فرأيت أن الوحدة تهدىء الروح وتريحها، ثم قال:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب ... والناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا ... وقلوبهم محشوة بعقارب[1]

* * *

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

* * *

علم المحجة واضح لمريد ... وأرى القلوب عن المحجة تعمى

* * *

(١) تذكرة الأولياء، ص١٥؛ في رحاب أئمة أهل البيت، ج٤، ص٧٥ ـ ٧٦.

ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجى[1]

ونقل الأصمعي الأبيات التالية من تفسير الثعلبي عن الإمام الصادق عليه السلام:

أثامن بالنفس النفيسة ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها يشترى الجنات إن أنا بعتها بشيء سواها إن ذلكم غبن
إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها فقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن[2]

يروي حافظ عبد العزيز بن الأخضر مؤلف معالم العترة النبوية عن ابراهيم مسعود: كان رجل من التجار يختلف إلى جعفر بن محمد يخالطه ويعرفه بحسن حال فتغيرت حاله فجعل يشكو إلى جعفر عليه السلام، فقال له الإمام عليه السلام:

فلا تجزع وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في زمن طويل
ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل[3]

طلب رجل من الإمام حاجة فقضاها الإمام له فشرع الرجل يشكر الإمام، فقال الإمام عليه السلام:

إذا ما طلبت خصال الندى وقد عضك الدهر من جهده
فلا تطلبن إلى كالح أصاب اليسارة من كده
ولكن عليك بأهل العلى ومن ورث المجد عن جده
فذاك إذا جئته طالباً تحب اليسارة من جده

* * *

(١) المناقب، ج٤، ص٢٧٥؛ في رحاب أئمة أهل البيت، ج٤، ص٧٥ ـ ٧٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) في رحاب أئمة أهل البيت، ص٧٥ ـ ٧٦.

اعمل على مهل فإنك ميت واختر لنفسك أيها الإنسانا
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى وكأن ما هو كائن قد كانا[1]

(١) المناقب، ج٤، ص٢٧٤.

١٤

مقتطفات مما قاله الشعراء العرب في مدح الإمام

* * *

مما قاله اسماعيل بن محمد بن يزيد، المعروف بـ«السيد الحميري» (١٠٥ ـ ١٧٣هـ.ق)

أيا راكباً نحو المدينة جسرة ... غذافرة يطوي بها كل سبسب
إذا ما هداك الله عاينت جعفرا ... فقل لولي الله وابن المهذب
ألا يا أمين الله وابن أمينه ... أتوب إلى الرحمن ثم تأوبي
إليك من الأمر الذي كنت مطنباً ... أحارب منه جاهداً كل معرب
إليك رددت الأمر غير مخالف ... وفئت إلى الرحمن من كل مذهب
سوى ما تراه يا بن بنت محمد ... فإن به عقدي وزلفى تقربي
وما كان قولي في ابن خولة مبطنا ... معاندة مني لنسل المطيب[1]

* * *

وقال أيضاً:

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا ... تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا

---

(١) الديوان، ص١٥٥ ـ ١٦٦.

ناديت باسم الله والله أكبر ... وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
ويثبت مهما شاء ربي بأمره ... ويمحو ويقضي في الأمور ويقدر
ودنت بدين غير ما كنت دينا ... به ونهاني سيد الناس جعفر
فقلت فهبني قد تهودت برهة ... وإلاّ فدين دين من ينتصر
وإني إلى الرحمن من ذاك تائب ... وإني وقد أسلمت والله أكبر[1]

* * *

ومما قاله أبو هريرة الأبار أيضاً:

أقول وقد راحوا به يحملونه ... على كاهل من حامليه وعاتق
أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى ... ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ... تراباً وأولى كان فوق المفارق[2]

* * *

ويقول أبو هريرة الأبار بشأن رسالة أبي سلمة الخلال للإمام عليه السلام:

ولما دعا الداعون مولاي لم يكن ... ليثنى عليه عزمه بصواب
ولما دعوه بالكتاب أجابهم ... بحرق الكتاب دون رد جواب
وما كان مولاي كمشري ضلالة ... ولا ملبساً منها الردى بثواب
ولكنه لله في الأرض حجة ... دليل إلى خير وحسن مآب[3]

* * *

---

(١) الديوان، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) الديوان، ج١، ص٣٨١. وأعتقد أن ما نظمه الشريف الرضي في رثاء أبي اسحاق الصابي مقتبس من البيت الأخير، قال الرضي:

أعلمت من حملوا على الأعواد ... أرأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى ... من وقعه متتابع الأزباد

(٣) المناقب، ج٤، ص٢٣٠.

ومما قاله عبد الله بن المبارك[1]:

أنت يا جعفر فوق المد ... ح والمدح عناء
إنما الأشراف أرض ... ولهم أنت سماء
جاز حد المدح من قد ... ولدته الأنبياء

* * *

الله أظهر دينه ... وأعزه بمحمّد
والله أكرم بالخلا ... فة جعفر بن محمد

(الديوان، ج١، ص٣٨١)

يروي ابن شهرآشوب عن سدير الصيرفي: كنت مع الإمام الصادق عليه السلام في عرفات ورأيت كثرة الحجاج وعددهم الكبير وسمعت أصواتهم، فقلت في نفسي أكل هؤلاء ضالون، فناداني الإمام الصادق عليه السلام وقال انظر جيداً وعندما حدقت جيداً رأيت الجميع قروداً وخنازير، فنظم هذه الحادثة شعراً علي بن حماد بن عبيد الله بن حماد البصري الشاعر الشيعي المعاصر للشيخ الصدوق ولد وتوفي في القرن الرابع الهجري:

لم لم يسمعوا مقال سدير ... وهو في قوله سديد رشيد
كنت مع جعفر لدى عرفات ... ولجمع الحجيج عجّ شديد
فتوسمت ثم قلت ترى ضل ... عن الله جمع هذا الجنود
فانثنى سيدي علي ونادا ... ني تأمل ترى الذي قد تريد
فتأملتهم إذا هم خناز ... ير بلا شك كلهم وقرود[2]

(١) من عرفاء القرن الثاني الهجري، جالس سفيان الثوري، توفي سنة ١٨١هـ.ق.
(٢) المناقب، ج٤، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥.

١٥

ترجمة بعض أشعار شعراء الفارسية في مدح الإمام حتى القرن التاسع الهجري

أبو العطاء محمود بن علي المعروف بـ«خواجو» (توفي ٧٥٣هـ.ق):

يا رب بحق جعفر الصادق الذي تشهد على صدقه الشمس كشهادتها على الصباح[١].

* * *

بمطلع صدق الصادق، الشمس النابضة بالحياة، الذي تراب مسَّ أقدامه كحل يجلو بصر العالمين.

جعفر الإمام الذي محله الكعبة، الملائكي الصفات، الخليل الذي ذريته كالخضر، الرفيق الصادق الذي تخدمه الخلائق.

حضر الفلك حلقة درسه فسمع درس الحدوث من قديم المحدثين.

طائر سدرة المنتهى يطوف حول حرمه كما يطوف حول الحرم الحمام.

---

(١) الديوان، ص٥٧٢.

الهداية الأبدية الحقيقية تكمن في القرب منه والعناية الأبدية قرينة اقتفاء آثاره.

ما كتب في قبة السماء كتب باسمه الشريف من الذهب الجعفري الخالص[1].

* * *

محمود بن يمين الدين الطغراني المعروف بابن يمين (توفي ٧٦٥هـ.ق):

بعد علي المرتضى فإن أولاده هم الأئمة أولهم الحسن وثانيهم الشهيد في كربلاء، بعده السجاد ومن يدعى بالباقر، فالصادق وبعده موسى نجي الله وبعده الرضا ثم التقي وبعده النقي ثم إمام أهل الهدى العسكري وبعده صاحب الزمان الذي تنتظر رؤيته ولقاءه العيون[2].

* * *

محمود بن حسن الملقب بالداعي إلى الله والمشهور بـ«شاه داعى» (ملك الدعاة) (توفي ٨٦٥هـ.ق):

إذا سئلت عن الاثني عشر فقل عدد أئمتنا اثنا عشر: المرتضى وابناه الحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقر والصادق والكاظم والرضا والتقي والنقي والعسكري والقائم[3].

* * *

عماد الدين السيد علي نسيمي حروفي (قتل سنة ٨٢٠هـ.ق):

يا رب أسألك بصدق جعفر الصادق الذي بقي الإسلام في العالم ببركة علمه.

---

(١) الديوان، ص٦١٧. والقصيدة مليئة بالمفاهيم الفلسفية من قبيل الفلك والحدوث والقدم و...م.
(٢) الديوان، ص٣٩.
(٣) الديوان، ص٣٠٦.

يا رب أسألك بحق جعفر الصادق الذي دان له بإخلاص جميع الصديقين[١].

كان هادياً للعالمين زين العابدين ومن بعده الباقر وبعده جعفر[٢].

* * *

إعلم أن جعفر الصادق كالكاظم ومثلهما الإمام السلطان علي بن موسى الرضا ثم التقي والنقي وبعدهما العسكري ثم صاحب اللقاء والزمان محمد المهدي هؤلاء هم نسيم يهبك لطفاً فإذا أتيت بشفيع فليكن آل الكساء[٣].

---

(١) الديوان، ص٣٠٩.

(٢) الديوان، ص٣١٤.

(٣) الديوان، ص٣٧٥.

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب. علي بن حسين المسعودي. النجف: المطبعة الحيدرية.

٣ ـ الأخبار الطوال. أحمد بن داوود الدينوري. القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٣٣٠هـ.ق.

٤ ـ الأخبار الموفقيات. الزبير بن البكار، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٢م.

٥ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. محمّد بن النعمان المعروف بالمفيد. انتشارات علمية اسلامية، ١٩٧٠م.

٦ ـ الأصول من الكافي. محمّد بن يعقوب الكليني. طهران: دار الكتب الإسلامية.

٧ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٤هـ.ق.

٨ ـ الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين. طبعت بالأوفست عن دار الكتب القاهرة، ١٣٨٣هـ.ق.

٩ ـ الأمالي. محمّد بن الحسن الطوسي. قم: مكتبة الداوري.

١٠ ـ بحار الأنوار. محمّد باقر المجلسي، بيروت: مؤسسة الوفاء.

١١ ـ بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد عليهم السلام. محمد بن الحسن بن فروخ، منشورات مكتبة المرعشي، ١٤٠٤هـ.ق.

١٢ ـ البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٧هـ.ق.

١٣ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن الحسين البلاذري، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، بيروت: دار التعارف، ١٣٩٧هـ.ق.

١٤ ـ تاريخ الرسل والملوك، محمّد بن جرير الطبري، بريل، ١٨٧٩م.

١٥ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، النجف: نشريات المكتبة المرتضوية، ١٣٥٨هـ.ق.

١٦ ـ تحف العقول عن آل الرسول. حسن بن علي بن شبعة، طهران: انتشارات اسلامية، ١٣٥٤هـ.ق.

١٧ ـ تذكرة الحفاظ. شمس الدين الذهبي، حيدر آباد: طباعة دار إحياء التراث العربي، دار المعارف العثمانية.

١٨ ـ ترجمة فرق الشيعة، محمد جواد مشكور، طهران: مطبعة باكتجي، ١٣٢٥هـ.ق.

١٩ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، حيدر آباد: المطبعة النظامية، ١٣٢٥هـ.ق.

٢٠ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، مصر: مطبعة الخانجي، ١٣٥١هـ.ق.

٢١ ـ الخصال، ابن بابويه القمي، طهران دار العلمية الإسلامية (انتشارات علمية اسلامية).

٢٢ ـ ديوان ابن يمين خريومدي، باستاني راد، مكتبة سنابي.

٢٣ ـ ديوان الحميري، سيد اسماعيل، شاكر هادي شكر. بيروت: مكتبة الحياة.

٢٤ ـ ديوان خواجوي كرماني، تصحيح أحمد سهيلي، مكتبة الباراني (كتابفروشي باراني).

٢٥ ـ ديوان السيد الرضي (الشريف)، طهران: مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٤٠٦هـ.ق.

٢٦ ـ ديوان نسيمي، عماد الدين نسيمي جلالي بندري. طهران: مكتبة ني. ١٣٧٠هـ.ش.

٢٧ ـ الروضة من الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، طهران: مكتبة دار الكتب الإسلامية ١٣٧٠هـ.ش.

٢٨ ـ روضة الواعظين، ابن فتال النيسابوري. قم: منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٦هـ.ق.

٢٩ ـ الصحيح، أبو عبد الله البخاري، مطبوعات محمّد علي صبيح، القاهرة ساحة الأزهر، ١٣١١هـ.ق.

٣٠ ـ الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيثمي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٥ هـ.ق.

٣١ ـ العقد الفريد، أحمد بن محمّد بن عبد ربه، تحقيق محمّد سعيد العريان، القاهرة ١٣٧٢هـ.ق.

٣٢ ـ علل الشرائع، أبو جعفر الصدوق. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٥هـ.ق.

٣٣ ـ عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٩٠هـ.ق.

٣٤ ـ عيون الأخبار، ابن قتيبة، منشورات الشريف الرضي طباعة بالأوفست، قم: دار الكتب، ١٤١٥هـ.ق.

٣٥ ـ الغيبة، محمّد بن الحسن الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية.

٣٦ ـ الفتوح، ترجمة محمد بن أحمد المستوفي، تحقيق غلامرضا

الطباطبائي مجد. طهران: انتشارات وآموزش انقلاب اسلامي، ١٣٧٢هـ.ش.

٣٧ ـ الفروع من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، بيروت: دار صعب، ١٤٠١هـ.ق.

٣٨ ـ الفهرست، ابن النديم، تحقيق رضا تجدد. طهران: مطبعة البنك التجاري (بانك بازركاني).

٣٩ ـ في رحاب أئمة أهل البيت، السيد محسن الأمين، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٠هـ.ق.

٤٠ ـ قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي الشوشتري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

٤١ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير. بيروت: دار صادر، ١٣٨٥هـ.ق.

٤٢ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن موسى الاربلي، تبريز: مكتبة بني هاشمي، ١٣٨١هـ.ق.

٤٣ ـ الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، طباعة بالأوفست عن طبعة صيدا، انتشارات بيدار، ١٣٨٥هـ.ق.

٤٤ ـ كلستان، الشاعر سعدي، تصحيح يوسفي. طهران: الخوارزمي، ١٣٦٨هـ.ق.

٤٥ ـ مثنوي، تصحيح نيكلسن، مطبعة بريل، ١٩٢٩م.

٤٦ ـ المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، تصحيح سيد جلال الدين محدث. دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ.ق.

٤٧ ـ المعارف. ابن قتيبة، تصحيح ثروت عكاشة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، طبع بالأوفست في قم: مكتبة الشريف الرضي، ١٤١٥هـ.ق.

٤٨ ـ معجم الأدباء. ياقوت الحموي، تصحيح الدكتور أحمد الرفاعي، القاهرة: مكتبة عيسى البابي، ١٢٥٥هـ.ق.

٤٩ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق أحمد صقر. بيروت: المعرفة.
٥٠ ـ المقالات والفرق، سعد بن عبد الله، محمد جواد مشكور. تهران: دار النشر العلمي والثقافي (انتشارات علمي وفرهنكي) ١٣٦١هـ.ق.
٥١ ـ الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح أحمد فهمي، القاهرة، ١٣٦٨هـ.ق.
٥٢ ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي شهر آشوب، قم: مكتبة المصطفوي (كتابفروشي مصطفوي).
٥٣ ـ المنشآت، الخاقاني، تصحيح محمد روشن، مؤسسة الطباعة في جامعة طهران، ١٣٤٩هـ.
٥٤ ـ نسب قريش، مصعب بن عبد الله، القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٥١م.
٥٥ ـ نهج البلاغة، ترجمة السيد جعفر شهيدي (المؤلف)، طهران: دار النشر العلمي والثقافي (انتشارات علمي وفرهنكي).
٥٦ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق الشيخ الرباني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.ق.
٥٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أحمد بن أبي بكر بن خلكان، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٧هـ.ق.

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	٥
١	جعفر بن محمّد عليه السلام، ألقابه، ولماذا اشتهر بالصادق، ولادته، حكّام عصره، أُمّه، أبناؤه، الاسماعيليون، أقوال علماء غير الشيعة فيه.	٧ ـ ١٣
٢	الحالة السياسية في زمن الإمام، الاضطرابات والاعتراضات وأسبابها، تصلّب الأمويين في تعاملهم مع غير العرب، الثورات المعارضة للحكم، انقسام العرب إلى فريقين وأثره، المهدوية في مجال السياسة.	١٤ ـ ٢١
٣	دعوة المختار الناس لمبايعة محمد بن الحنفية والدعاية له بأنّه المهدي، التفاف الموالي حول المختار، أشعار السيد الحميري في محمّد بن الحنفية، مقدمات النهضة العباسية.	٢٢ ـ ٢٦
٤	زيد بن علي، سبب قيامه، ذهاب زيد إلى الشام والعراق، مبايعة أهل العراق لزيد، استعداد زيد	

للثورة، نصائح الأقرباء وبعض الشيعة لزيد، المواجهة بين زيد وجنود حاكم العراق، شهادته، تعليق جنازته، لماذا امتنع الإمام الصادق عليه السلام عن القيام بالثورة واكتفى بنشر العلم؟، اعتقال يحيى بن زيد ومن ثم إطلاق سراحه، قدومه إلى إيران، وعد الإيرانيين له بالنصرة وتقديم العون له، التخلّ عنه وشهادته. ٢٧ ـ ٤٠

٥ محمد ذو النفس الزكية وادّعاء المهدوية، مبايعة كبار بني هاشم لمحمّد، رفض الإمام الصادق عليه السلام مبايعته والإخبار بمقتله وخلافة العباسيين، اعتقال المنصور لمحمّد وعائلته وشهادة محمّد. ٤١ ـ ٤٦

٦ ازدهار الأبحاث الكلامية في منطقة الشرق الإسلامي وسببها، بحث القضاء والقدر وظهوره، رأي الإمام الصادق عليه السلام في موضوع القضاء والقدر، مخالفة الزنادقة للإمام الصادق عليه السلام، أبو شاكر الديصاني، ابن أبي العوجاء، الرجل الشامي وبحثه في علم الكلام. ٤٧ ـ ٥٧

٧ الفقه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، علي عليه السلام والحلّ، المشاكل الفقهية في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، في عصر الخلفاء، معاداة الأمويين القاسية لأبناء علي، تزوير الروايات لمصلحة الحكّام، عصر الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام وانتشار فقه آل محمّد صلى الله عليه وآله، المدينة في عهد الإمام الصادق عليه السلام، رأي العلماء وأهل السنّة في فقه الإمام عليه السلام، أبو حنيفة والإمام الصادق عليه السلام، لقاؤه بالإمام في العراق والحجاز،

تعداد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام . ٥٨ ـ ٦٥

٨ المتظاهرون بالزهد في عصر الإمام عليه السلام، حوار سفيان الثوري مع الإمام عليه السلام، مجموعة من المتظاهرين بالزهد وجدالهم. ٦٦ ـ ٦٩

٩ العباسيون وظلمهم، المنصور والرجل الذي اشتكى منه في مكة، الإمام وأمره في مداراة حكّام المصر، مخالفة الإمام للحكام حيث يجب، المنصور وإغراء العلويين بالمال، إخبار الإمام بما دار بين المنصور وأحد رجاله، تصميم المنصور على قتل الإمام عليه السلام وندمه. ٧٠ ـ ٧٨

١٠ شهادة الإمام عليه السلام، قيام المنصور بوضع السمّ في طعام الإمام، بكاء المنصور لسماعه خبر شهادة الإمام عليه السلام، كلام الإمام قبيل وفاته، وصيّة الإمام لابنه موسى عليه السلام. ٧٩ ـ ٨١

١١ نصيحة الإمام لداوود الطائي، الرجل الذي ظنّ بأنَّ كيسه قد سُرق، صبر الإمام عند البلية والمصيبة، أمة الإمام وسقوط الطفل من يدها وموته، عطف الإمام على عبد الله بن علي، إنفاقه في سبيل الله، عطاؤه وكرمه في السرّ، عطاؤه للرجل الذي أراد قتله، عطاؤه للمساكين في سقيفة بني ساعدة، تصدقه على الذين لا يعرفونه، الرجل الذي هداه الإمام للطريق المستقيم، منعه ضيفه من العمل في بيته وخدمة الضيوف، عدم بكائه عند موت ولده، داوود بن علي وقصد قتل الإمام عليه السلام، الإخبار بما يجول في

ضميره عائد، وصيته لأحد أصحابه بتقوى الله. ٨٢ ـ ٩٠
١٢ الإيصاء بالصلاة، الحج، الصوم، الزكاة، مطابقة القول والعمل، الصدقة، معرفة العاقبة، الصداقة، قلّة العيال، الإيصاء بالشفقة على الأب والأُم، الصبر عند المصيبة، إلى من يجب الإحسان؟ الاعتدال في الإنفاق، العدل بين الناس، الشكر على النِّعمة، الأمور التي فيها خير الدنيا والآخرة، الخوف من الله، ما يجب قوله وكيف يجب ذلك، علّة تحريم الربا، كيف يكون الإحسان، كيفية الحفاظ على نعم الله، الإسراع في قضاء حوائج الناس، إجبار النفس على ما يجب أن تعلم، فقهاء السلاطين، ترحموا لثلاثة، العلم في أربعة أمور، التقوى أفضل الزاد، كيف تكمل السعادة، ما هو الكرم والعطاء؟ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة، العالم الذي لا يعمل، لا تخالطن من الناس خمسة، الصفات الحسنة والسيئة، خلتان من لزمهما دخل الجنّة، من الذي يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر، وصية الإمام إلى عبد الله بن جندب. ٩١ ـ ٩٨
١٣ الأشعار المنسوبة إلى الإمام ٩٩ ـ ١٠١
١٤ بعض الأشعار العربية التي نظمت في مدحه. ١٠٢ ـ ١٠٤
١٥ بعض الأشعار الفارسية التي نظمت في مدحه ١٠٥ ـ ١٠٧
فهرس المصادر والمراجع ١٠٩